دكتور السيد عبد القادر عويضة
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

نشأة التدوين وتطوره

من العصر الجاهلى حتى أواخر القرن الثاني الهجرى

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمد الله تبارك وتعالى ونصلي ونسلم على النبى العربى الكريم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وبعد ...

فان قضية التدوين قضية شائكة وبخاصة فى الجاهلية وجزء من صدر الاسلام ، وقد كثرت فيها الآراء ووجهات النظر بين ناف ومثبت. بين من يعمم الحكم عليهم بأنهم أمة أمية وفقا لظاهر النصوص القرآنية فلا يعرفون التدوين الذى يلزمه معرفة الكتابة والقراءة .

وبين من يعتبر الغلبة ويعمم الحكم عليهم من خلالها ، فهم أميون بالغلبة ، وهذا لا ينفى وجودها فى كل مكان ، ومعرفة بعض الأشخاص لها ، لا يعنى معرفة الجميع لها ، ومعنى هذا أنها وجدت فى بعض الأماكن بصورة قليلة جدا وفى بعضها الآخر لم توجد على الاطلاق . وما دونوه من آثارهم الأدبية أو العلمية كان قليلا جدا وأظهرته اشارات الشعراء وغيرهم لها . ولذلك كان القرآن الكريم صادقا حينما عبر عنهم بأنهم أمة أمية .

وهذا ما دفعني الى تتبــع نشأة التــدوين وتطوره منــذ العصر الجاهلى حتى أواخر القرن الثانى الهجرى فى هذه المعالجة التى أظن أنها وافية على قلة صفحاتها • وأنا فى بحثى هذا أميل الى أن الكتابة كانت معروفة لبعضهم ، ودونت بها بعض أشعارهم وآثارهم ، وذكرت أدلة كثيرة فى ثنايا البحث تثبت ذلك •

ولما كان الاسلام داعيا للحضارة والرقى ، فقد كبر حجم الكتابة واتسعت دائرتها فيه ، ودون القرآن الكريم وبعض أحاديث الرســول — صلى الله عليه وسلم — كما دونت كتب النبى — صلى الله عليــه وسلم — ومغازيه وسيرته ، وكتب خلفائه الراشدين •

وفى العصر الأموى اتسعت دائرة الكتابة ، وظهرت الحاجة اليها فى جميع أرجاء الدولة الاسلامية ، وهذا ما شجع على اتســاع موجة التدوين لصنوف العلوم والمعارف ، فكان حال الكتابة والتدوين فى هذا العصر أكثر من ذى قبــل •

ولكن كلما تقدم الزمن كلما اتسعت المســافة بين زمن الابــداع وزمن تقييد هذا الابداع وتدوينه وبخاصة الذى كان مرويا ، فظهرت دواعى التدوين العــام وكانت ضرورية وملحــة • اذ مات كثــير من الرواة ، واختلطت الأشعار وأنواع المعارف فى أذهان بقيتهم ، ودخل الاســلام غير العــرب ، وهذا من شــأنه أن يدخل اللحن واللغط فى العربية ••• الى غير ذلك من الدواعى والعوامل الكثــيرة التى دفعت كثيرا من العلماء والشعراء والنقاد الى التوفر على جمع الشعر وسائر

العلوم والفنون فى كتب حفظا لها من الضياع ، وحتى تكون سهلة ميسرة فى أيدى العرب والعجم على السواء .

وقد تفرعت عن أصولها علوم ومعارف جديدة تحدثنا عنها فى نهاية هذا البحث .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يكون عملنا هذا خالصا لوجهه وأن ينفع به . انه خير مأمول وأكرم مسئول .

الزقازيق
فى ١٩٩١/٣/١٥

دكتور
السيد عبد القادر عويضة

الفصل الأول

الكتابة والتدوين فى العصر الجاهلى

بالرغم من غلبة الأمية على عرب الجزيرة العربية قبل الاسلام واشتهارهم بها ، وقد شهد القرآن الكريم بذلك فقال الله تعالى : « هو الذى بعث فى الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »(١) .

الا أنهم منذ جاهليتهم ومع غلبة الامية عليهم قد اشتهروا أيضا بالفصاحة والبلاغة والبيان ، وكانوا بسليقتهم وفطرتهم العربية شعراء وخطباء تنساب على ألسنتهم المعانى البليغة والكلمات الفصيحة والحكم والمواعظ والامثال العربية التى تدل على تجربة فى الحياة وخبرة ودراية . فضلا عن العلوم والمعارف المختلفة التى اشتهروا بها والتى تتصل بالانساب والطب والأنواء والقيافة والفراسة ... وغيرها من المعارف المختلفة التى لا تقوم على البحث والتحليل والاستقصاء بقدر ما تقوم على التجربة والممارسة والخبرة ، وهى على كل حال علوم ومعارف بسيطة لا تخضع لقوانين أو مقاييس منظمة ، وانما تخضع للتجربة القاصرة ، كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : « وللبادية من أهل العمران طب يبنونه فى غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، ومتوارثة عن مشايخ الحى وعجائزه . وربما يصح منه البعض الا أنه ليس على قانون طبيعى »(٢) .

---

(١) سورة الجمعة آية : ٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص : ١٢٣ .

وهذا الكلام لا يكون خاصا بالطب وحده ولكنه ينسحب على غيره من معارف العرب وعلومهم ، الا أنه يدل على نوع ولو بسيط من الحضارة والرقى على كل حال •

ولكن اشتهارهم بالأمية لا يلغى معرفة بعضهم القراءة والكتابة، وقد ذكر البلاذرى : « أن الاسلام قد جاء وفى مكة سبعة عشر كاتبا ، وفى المدينة أحد عشر كاتبا »(٣) •

وان كان المظنون أن عددهم فى هاتين المدينتين كان أكبر من ذلك(٤) • اذ يذكر ناصر الدين الأسد عددا غير قليل منهم فى الجاهلية وأكثرهم من الشعراء والأدباء الذين كتبوا لأنفسهم وغيرهم ، وربما دونوا بعض شعرهم • منهم : عدى بن زيد العبادى الذى كان كاتبا بالعربية والفارسية على السواء ، ومنهم لقيط بن يعمر الإيادى والمرقش الأكبر وأخوه حرملة ، وسويد بن صامت الأوسى ، وعبد الله ابن رواحة ، وكعب بن مالك الأنصارى ، الربيع بن زيد العبسى ، والزبرقان بن بدر ، والنابغة الذبيانى ، وكعب بن زهير ، ولبيد بن ربيعة العامرى ، وأمية بن أبى الصلت ، ومسروق بن عبد الرحمن ، وشريح بن الحارث الكندى ••• وغيرهم كثيرون(٥) •

وبعد استقراء من الدكتور الأسد للشعر الجاهلى ودراسة عميقة متأنية أفردها للكتابة وأدواتها وآلاتها وما يكتب عليه وموضوعات الكتابة توصل الى عدة نتائج •

---

(٣) فتوح البلدان ص : ٤٧١ طبعة اوربا •

(٤) راجع المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى ص : ١٣ د/ عز الدين اسماعيل ط ٣ دار المعارف المصرية ، ونشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى ص : ٢٣ د/ حسين نصار •

(٥) راجع مصادر الشعر الجاهلى : ص ١١٤ د/ ناصر الدين الأسد

« الأولى : قدم الكتابة فى بلاد العرب ، فقد استبان لنا بالدليل المادى الملموس المتمثل فى النقوش الحجرية المكتشفة أن عرب الجاهلية قد عرفوا الكتابة بالحروف العربية منذ مطلع القرن الرابع الميلادى ، وكتبوا بهذا الخط العربى ثلاثة قرون قبل الاسلام على أقل تقدير » .

والثانية : معرفة عرب الجاهلية بالكتابة معرفة فيها شىء من الانتشار يبعد عنهم ما وصموا به من الجهل بها .

والثالثة : اتساع ميدان الكتابة وتشعب موضوعاتها ... (٦) .

ومعنى هذا أن الكتابة كانت معروفة لبعض العرب فى الجاهلية، الا أن المعرفة كانت محدودة فى حواضر العرب وأقل من ذلك فى بواديهم التى غالبا ما تكون راحلة ، فلم يتيسر لها تدوين آثارها على المتعسر من الواح الكتابة وهى : الحجارة والعظم والخشب والجلد والعسيب والقماش ، بأقلام خشبية أو أدوات النحت والنقش .

ولذلك ما دون من آثارهم الأدبية كان آحادا لا يبرر تعميم الأمية عليهم ، وعدم تدوينهم لتراثهم فى سجلات مكتوبة لقصور أدوات الكتابة والرواحل فى عهدهم ، ولعدم نضجهم فى هذه الناحية . ولذلك « قصروا تدوينهم على ما اقتضته الضرورات الاجتماعية والاقتصادية، من الصكوك والعهود والأحلاف والمواثيق ، والرسائل المقتضبة والكتب الدينية ، والقليل من الشعر ، أما كثرته الغالبة فكان مجال حفظها الذاكرة والرواية »(٧) .

---

(٦) نفسه . ص : ١٠٧ .

(٧) دراسة فى مصادر الأدب ، الطاهر أحمد مكى ص : ١٣ ط١٩٨٦ دار المعارف .

ولذا فان ما كتب كان يحمل فى طياته نوعين من الكتابة فى عهدهم: الكتابة الساذجة اليسيرة التى استخدموها فى حياتهم وتجاربهم . والكتابة الراقية التى دونوا بها شعرهم وبعض آثارهم . وهذا ما ذهب اليه ناصر الدين الأسد حين قال : « ان عرب الجاهلية قد عرفوا من الكتابة صورتها الساذجة اليسيرة حين كتبوا رسائلهم ، وصكوك حسابهم وعهودهم ومواثيقهم ، ونقشوا خواتيمهم وشواهد قبورهم . وهذه كلها لا تتجاوز فى حجمها صحيفة واحدة قد تنقص قليلا أو تزيد قليلا .

وقد عرفوا من الكتابة صورة أخرى أرقى من هذه الصورة الساذجة وأكبر حجما ، وأشد تعقيدا ، وهى التدوين . والفرق بين الصورتين واضح اذ أن الأولى لا تعنى أكثر من مجرد التقييد العابر لما يعرض من شئون الحياة ، ولكن التدوين انما يعنى جمع الصحف وضم بعضها الى بعض حتى يكون لنا منها ديوان ، وهو مجتمع الصحف . ولابد للتدوين من أن يكون عملا مقصودا متعمدا يرمى الى هذه الغاية ، لا عملا عابرا عارضا(٨) .

ومما يقوى هذا الرأى ما ورد فى الشعر الجاهلى من ذكر الكتاب والكاتب كثيرا ، ومن ذلك قول معقل بن خويلد الهذلى — وهو شاعر جاهلى أدرك الاسلام .

فانى كما قال مملى الكتاب فى الرق اذ خطه الكاتب
« يرى الشاهد الحاضر المطمئن من الأمر ما لا يرى الغائب »

وقول بشر بن أبى خازم — وهو شاعر جاهلى لم يدرك الاسلام:
وجدنا فى كتاب بن تميم « أحق الخيل بالركض المعار »

---

(٨) مصادر الشعر الجاهلى ص : ١٠٧ : ١٠٨ .

ويعلق الأسد على بيت بشر فيقول : « فبشر يذكر فى وضوح أنه وجد فى كتاب بنى تميم أن أحق الخيل بالركض المعار » .

ثم يقول : « فما هو كتاب بنى تميم اذن ؟ الذى نراه أن كل قبيلة من القبائل كانت تجمع شعر شعرائها ، وحكم حكمائها ، وأقوال خطبائها ، وأخبارها ومفاخرها ومآثرها ، وأنسابها فى كتاب . وقد احتفظ العرب بهذه التسمية لكتب القبائل بعد ذلك فى العصور الاسلامية لتدل على هذا نفسه الذى قدمنا »(٩) .

ولكنه مع هذا التتبع لمعارف العرب وتدوينهم لمآثرهم . فان بعضا من الدارسين والباحثين يبدى فى حديثه ملامح النفى لتدوين العرب لشىء من معارفهم وآثارهم متحتا فى ذلك على غلبة الامية والبداوة وغموض الحياة وعدم استقرارها عندهم . فلم يتركوا سوى بعض النقوش القليلة فى بعض المناطق من أطراف الجزيرة العربية . أما فى باطنه فلم تسعفهم الصحارى التى عاشوا عليها لشىء من ذلك . وفى هذا يقول عمر الدقاق : « لم يكن للعرب فى فترة ما قبل الاسلام ثقافة مدونة وعلوم مسجلة . فقد غلبت عليهم البداوة ، واستغرق فى حياتهم التنقل ، نفشت فيهم الأمية ، ولم يتركوا خلال هذه الحقبة المديدة الغامضة من فجر حياتهم سوى نقوش قليلة تنبىء عما كان لهم من دور حضارى ، حتى ان هذه النقوش لم تكن متوفرة الا فى بعض المناطق العربية كجنوبى جزيرة العرب وشماليها حيث توجد الأحجار والصخور ، على حين كان باطن الجزيرة وأكثر ربوعها سهوبا وصحارى لم تسعف سكانها العرب فى ترك مياسمهم على الأرض التى عاشوا فيها أحقابا مديدة(١٠) .

---

(٩) المرجع نفسه ص : ١٦٣ ، ١٦٤ .

(١٠) مصادر التراث العربى . عمر الدقاق ص : ٧ مكتبة دار الشروق ـ بيروت .

ويرى شوقى ضيف أن معرفة العرب للقراءة والكتابة فى الجاهلية كانت محدودة : « فلم يكتبوا بها كتبا ولا قصصا ولا رسائل أدبية وانما كتبوا بها بعض أغراض تجارية ، وأخرى سياسية ، ولذلك لم يكن غريبا أن تشيع فى مكة لأنها كانت مركزا تجاريا عظيما(١١) •

كما يرى أن الكتابة المعروفة فى العصر الجاهلى لم تكن تؤدى بمقاييس الكتابة فى العصر الحديث ، وانما كانت : « الكتابة ساذجة أدت أغراضا خاصة فى عصرها وانتهت بانتهاء الغرض »(١٢) •

وهناك من يقف موقفا وسطا فى هذه القضية بين من يثبت نضج العرب الفنى وتدوينهم لبعض شعرهم ومآثرهم ، وبين من يرجح نفى ذلك وقصور الكتابة على أغراض التجارة والعهود والمواثيق وغيرها •

ومن هؤلاء المستشرق الفرنسى (بلاشير) الذى لايشك فى تدوين بعض العرب لبعض قصائدهم الشعرية فى بعض المراكز الحضارية آنذاك • ولكنه يقلل حجم التدوين بالنسبة للرواية الشفوية التى كانت أكبر حجما وأوسع انتشارا وبعدا فيقول : « لاشك فى أن بعض الرواة فى بعض المراكز الحضرية قد دونوا كتابة بعض القصائد الهامة ، ولكن ذلك يعوزه الدليل • حتى لو سلمنا بصحة وقوع ذلك فان التدوين لم يشمل الا جزءا من آثار الشعراء الحضريين،أما البقية فقد سارت فى الصحراء عن طريق الرواية الشفوية •

وخلاصة القول : فان الرواية الشفوية وحدها تؤلف الطريقة الأساسية لنشر الآثار الشعرية ، منذ اللحظة التى قذف فيها الشاعر ورواته تلك الآثار فى خضم الجماهير »(١٣) •

---

(١١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ١٩ شوقى ضيف •
(١٢) نفس المرجع والصفحة •
(١٣) تاريخ الأدب العربى • بلاشير ترجمة ابراهيم الكيلانى ١/١٢٠: طبعة دمشق ١٩٧٣م •

وبالفعل فان الطريقة التى سادت فى انتشار الشعر وغـيره من الآثار الأدبية بل وغيرها من معارف العرب كانت الرواية الشفوية التى كانت لهم بمثابة مدرسة يتعلمون فيها نظـم الشعر وصياغة الـكلام والتمرس على فنونه بحيث يصبح الراوية شاعرا له من الخصـائص الفنية ما لسابقه ولاحقة(١٤) • أو قريب من ذلك• والأمثلة على ذلك كثيرة من واقع حياة الشعراء الجاهليين وشعرهم • اذ كان زهـير بن أبى سلمة راوية أوس بن حجر • وكان كعب بن زهير والحطيئة روايتى زهير ، وكان هدبة بن خشرم العذرى راوية الحطيئة ، وجميل بثينـة راوية هدبة ، وكثير عزة راوية جميل ••• وهكذا •

ويتحدث الطاهر مـكى عن دور الراوى فى حفظ شعر الشـاعر والروايه عنه بأنه كان اكثر أهتماما وروايه وحفظا لشعر الشـاعر من قبيلة الشاعر نفسه ، وذلك لأن قبيله الشاعر تحفظ من شعره ما يعلى قدرها ويرفع شأنها ويسمو بهـا بين القبائل وتتنـاسى منه ما يمس شرفها وينزل من قدرها ، بالاضافة الى أن رجال القبيلة الواحدة ليسوا على قدم وساق فى الحفظ والرواية لشاعرهم • وانما يحفظ الشـيوخ من شعره الحكمة والرثاء والفخر والمديح ، ويحفظ الرجال المحاربون منه الحماسة والفخر ، ومديحهم وهجاء غيرهم ، ويحفظ الشباب منـه ألغزل وما يتعلق بعواطفهم • ولكن الراوية يحفظ هذا كله ويرويه عنه• يقـول فى ذلك الطاهر مكى : « وقـد اضطلع الشعراء أنفسـهم بدور هام فى الرواية ، فكانت لهم المدرسة التى يتعلمون فيها صوغ الشـعر ونظمه والتمرس بأساليب الكلام وفنون القول ، ومن أراد أن يصـبح شاعرا لزم واحدا من فحولهم ، يحفظ عنه ، ويروى له ، ويترسـم

---

(١٤) راجع : دراسة فى مصـادر الأدب ــ الطاهر احمـد مكى ١٣ ط ٦ دار المعارف ١٩٨٦م •

خطاه ... ويصبح دور الراوى أكثر أهمية بعد وفاة الشـاعر ، لأنه يتعدى مهمة نشر قصائده الى جمعها ؛ واظهار الظروف والمناسـبات التى أوحت بها ، وتفسير الاشارات التاريخية التى تتضمنها ، ويصبح بحكم الواقع أمينا على تراث حياة صانعه ، ومناط اهتمام القبيلة التى تنسب فيهـا .

وكان شعراء كل قبيلة وأفرادها يروون شعر أسلافهم ، وظهـور شاعر كبير فى القبيلة مدعاة للفخر ، والاحتفـاظ بآثاره شىء تفرضـه العصبية ، وضـياعها أمـر يمس شرف القبيلة ، وأصـدقاء الشـاعر يستظهرون بعضا من قصائده . وثمة فارق بين حفظ القبيلة وحفـظ الراوية ، القبيلة تحفظ من قصيد شـاعرها ما يعلى شأنها ، ويسـجل أمجادها ، فاذا تعرض لحرب هزمت فيها تناست ذلك الشعر ، أو ما يمسها منه على الأقل ، وروايتها له لا تجرى على نسق واحد ، وانما ترتبط بأعمار أفراد القبيلة وأمزجتهم ، يحفظ منه الشباب ما كان غزلا يمس العواطف ، ويردد الرجال ما كان حماسة تلهب المشاعر ، ويتمثل الشيوخ ما كان حكمة ترضى العقل . أما الراوية المحترف فيحفظ ذلك كله ، الغزل والحماسـة والحكمة ، والرثاء والهجاء والفخـر ، ما بلغ فيه الشاعر القمة أو قصر عن الاجادة »(١٥) .

وهكذا كانت الرواية أكبر حجما وأكثر انتشارا من كتابة الشـعر وتدوينه ، ولكنها لا تلغى الكتابة كلية وان كانت ضـئيلة ومتناثرة هنا وهناك . اذ أن كلتيهما كان لهـا دورها فى التدوين فى نهاية القـرن الثانى وبداية القرن الثالث الهجرى .

---

(١٥) دراسة فى مصادر الأدب ص : ١٤ .

ادلة التدوين فى العصر الجاهلى :

ومما يدل على وجود الكتابة واستخدامها فى تدوين الشعر وغيره فى العصر الجاهلى وأن التدوين العام فى نهـاية القرن الثـانى وبداية القرن الثالث الهجريين قد قام عليها ، بالاضافة الى الرواية الشفهية ، أمـور كثيرة منهـا :

حديث بن مناذر الشاعر مع خلف الأحمر ، حين قال بن منـاذر لخلف : « يا أبا محرز : ان يكن النـابغة وامـرؤ القيس وزهير قـد ماتوا ، فهذه أشعارهم مخلدة ، فقس شعرى الى شعرهم ، واحـكم عليها بالحق ، فغضب خلف ... (١٦) . ولابد أن تكون هذه الأشـعار مكتوبة ، اذ أن تخليدها لا يكون بروايتها فقط ، لأن الرواة يضـيع بموتهم علم وأدب كثـير .

وما روى من أن أبا عبيدة وأبا حاتم السجستانى كانا يتدارسان الشعر الجاهلى فى كتب ـــ وكلاهما عاش فى القرن الثانى الهجرى ـــ قال أبو حاتم : « جئت أبا عبيدة يوما ومعى شعر عروة بن الـورد ، فقال لى : ما معك ؟ فقلت : شعر عروة . قال : فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقـير » (١٧) .

وقصة ابن الأعرابى « أبى عبد الله محمد بن زياد ١٥٠ ـــ ٢٣١هـ » الذى كان كثير القراءة والمدارسة فى الكتب والأخذ عنها والنظر فيها . يقال أنه : « لما بعث اليه أبو أيوب أحمد بن محمد بن شجاع غلامـا من غلمانه يسأله المجيء اليه ، عاد اليه الغلام فقال : قد سألته ذلك فقال لى عندى قوم من الأعراب ، فاذا قضيت أربى منهم أتيت . قال

---

(١٦) معجم الأدباء ٣/١٧٢ .
(١٧) المزهر ٢/١٦١ .

الغلام : وما رأيت عنده أحدا ، الا أنى رأيت بين يديه كتبا ينظر فيها، فينظر فى هذا مرة وفى هذا مرة (٨) .

وهذا الأصمعى « عبد الملك بن قريب ١٢٣ — ٢١٦ هـ » قد قـرأ بعض دواوين الشعر الجاهلى على شيوخه . قال الأصمعى : « قرأت شعر الشنفرى على الشافعى بمكة »(١٩) . وقال أيضـا : قرأت على أبى عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبيـانى (٢٠) . وقـال أبو حاتم السجستانى:قرأ الأصمعى على ابن عمرو بن العلاء شعر الحطيئة (٢١). وقرىء يوما على الأصمعى فى شعر أبى ذؤيب : بأسـفل ذات الدير أفرد جحشها . فقال أعرابى حضر المجلس للقارىء : ضل ضلالك أيها القارىء ، انما هى « ذات الدبر » وهى ثنية عندنا ، فأخـذ الأصـمعى بذلك فيما بعد » (٢٢) .

أضف الى هذا وغيره من أدلة وجود الكتابـة والتدوين فى العصر الجاهلى . تلك المعلقات السبع أو العشر الطوال التى استجادها العرب فكلفوا بها وفضلوها على غيرها من شعرهم . وبلغ من اهتمامهم بهـا وتفضيلهم اياها « أن عمدت جماعة من رجالاتها الى سـبع قصـائد تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجـة وعلقتها فى أستار الكعبة ، فمنه يقال : مذهبة امرىء القيس ومذهبـة زهير .. والمذهبات السبع ، وقد يقال لها المعلقات » (٢٣) .

---

(١٨) معجم الأدباء ٣/٢٠٤ .

(١٩) المزهر للسيوطى ١/١٦٠ .

(٢٠) الموشح للمرزبانى : ٤٢ .

(٢١) المزهر ٢/٣٥٥ .

(٢٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٢٩ .

(٢٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦/١١٩ .

ومن ذلك أيضا الصحيفة التى كتبها القرشيون فى مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب حين اجتمعوا عليهم وتعاهدوا على مقاطعتهم فلا يبيعونهم ولا يشترون منهم ، ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم . ولا يكلمونهم ولا يردون عليهم .. وبلغ من المؤمنين الجوع مبلغا عظيما فلجئوا الى شعب أبى طالب . وظلت الصحيفة التى كتبوها وعلقوها فى جوف الكعبة دهرا من الزمان الى أن أخبر النبى — صلى الله عليه وسلم — بأن الأرضة أكلت حروف الكلمات فى الصحيفة ولم تدع منها الا أسماء الله .

يقول ابن هشام : « وذكر بعض أهل العلم : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لأبى طالب : ياعم ! ان ربى الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان ، فقال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ، ثم خرج الى قريش فقال : يا معشر قريش ، أن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلم الى صحيفتكم ، فان كانت كما قال ابن أخى ، فانتهو عن قطيعتنا ، وأنزلوا عما فيها ، وان يكن كاذبا دفعت اليكم ابن أخى ، فقال القوم : رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فاذا هى كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فزادهم ذلك شرا ، فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة ما صنعوا » (٢٤) .

ومن دلائل وجود الكتابة والتدوين كذلك فى العصر الجاهلى ماذكره الفرزدق فى شعره من أن دغفلا النسابة — وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام — كان يكتب الأنساب ويدونها فى الصحف . وهذا ما أشار اليه الفرزدق فى قوله :

---

(٢٤) سيرة ابن هشام ١/٣٧٧ .

أوصى عشـــية حين فارق رهطـــه   عند الشهادة فى الصحيفة دغفـــل
أن ابن ضـــبة كان خـــير والـــدا   وأتم فى حسب الكرام وأفضل(٢٥)

وفى قصيدة الفرزدق هذه ما يفيد بأن بعض الشعر الجـــاهلى كان مكتوبا وأن الفرزدق قد قرأه عنهم فى هذه • ومن ذلك قوله :

والجعفـــرى وكان بشـــر قبلـــه   لى من قصائده الكتاب المجمل (٢٦)

وقـــوله :

دفعـــوا الى كتابهـــن وصـــــية   فورثتهن كأنهـــن الجندل (٢٧)

ومن ذلك أيضا ما روى من أن لبيد بن ربيعة العامرى — الشـــاعر الجاهلى الذى أسلم وحسن أسلامه — أرسل اليه عمر بن الخطـــاب يطلب منه ما قاله فى الاسلام من الشعر فكتب اليه لبيد سورة البقرة فى صحيفة ثم أتى بها فقال:أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر(٢٨)

وما روى من أن النابغة الذبيانى وعدى بن زيد العبادى والربيع ابن زيـــاد العبسى وغـــيرهم كانوا يكتبون القصـــائد ويرسلونها الى بلاط المناذرة معتذرين عاتبين (٢٩) •

وما يروى عن حماد الراوية من قوله : « أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب فى الطنوج — قال : وهى الكراريس — ثم دفنها فى قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبى عبيد قيل له : ان تحت القصر كنزا، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار (٣٠) •

(٢٥) النقـــائض ١٨٩/١ •
(٢٦) المصدر نفســـه •
(٢٧) المصدر الســـابق •
(٢٨) خزانة الأدب للبغدادى ٢١٥/٢ •
(٢٩) مصادر الشعر الجاهلى ص : ١٦١ • ناصر الدين الأسد •
(٣٠) الخصائص لابن جنى ٢٩٣/١ •

ومن ذلك أيضا ما يشير اليه ابن هشام فى السيرة النبوية من أن سويد بن الصامت كان يحمل صحيفة فيها حكمة لقمان — وهو من اشهر حكماء العرب فى الجاهلية — وأنه ذهب بها الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — فقرأها عليه ، فقال له الرسول : ان هذا الكلام حسن ، والذى معى أفضل من هذا — قرآن أنزله الله تعالى على ، هو نور وهدى (٣١) .

وفى الفهرست لابن النديم أنه وجد كتاب فى خزانة الخليفة العباسى المأمون بخط عبد المطلب بن هاشم . وأن الكتاب كان فى جلد أدم وقد جاء فيه : « حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان ابن فلان الحميرى من أهل وزل صنعا ، عليه ألف درهم فضة كيلا بالحديدة ، ومتى دعاه بها أجابه : شهد الله والملكان » (٣٢) .

ومن ذلك أيضا ما روى عن المفضل الضبى « توفى سنة ١٦٨ أو ١٧٨ هـ » ، قال له العباس ابن بكار : ما أحسن اختيارك للأشعار ، فلو زدتنا من اختيارك . فقال المفضل : والله ما هذا الاختيار لى ، ولكن ابراهيم بن عبد الله استتر عندى فى « نحو سنة ١٤٥هـ » فكنت أطوف وأعود اليه بالأخبار ، فيأنس ويحدثنى ، ثم عرض لى خروج الى ضيعتى أياما ، فقال لى : اجعل كتبك عندى لأستريح الى النظر فيها ، فتركت عنده قمطرين فيهما أشعار وأخبار ، فلما عدت وجدته قد علم على هذه الأشعار ، وكان أحفظ الناس للشعر ، فجمعته وأخرجته ، فقال الناس : اختيار المفضل (٣٣) .

---

(٣١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٨ .
(٣٢) الفهرست ص : ١٣ ، ١٤ .
(٣٣) المزهر للسيوطى ٢/٣١٩ . وراجع : مقاتل الطالبين للأصفهانى ص ٣٧٣ .

وهنا دليل قاطع على احتواء خزانة المفضـل على شـعر مكتوب ومدون عن الجاهليين والاسلاميين اذ أن المختارات المنسوبة اليه تتضمن شعرا للجاهليين والمخضرمين والاسلاميين (٣٤) •

وكذلك كانت مختارات الأصمعي المسماة بالأصمعيات على غـرار المفضليات اختار من شعر الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين ماسجله فى كتاب نسب اليه وسمى باسمه ، وهذه المختارات من شـعر العرب المكتوب والمروى (٣٥) •

كذلك حين ننظر فى جمهرة أشـعار العرب لأبى زيـد محمد ابن أبى الخطاب القرشى الذى عاش — على أرجح الأقوال — فى النصـف الثانى من القرن الثالث وشهد طرفا من القرن الرابع الهجرى (٣٦) • وفى تقسيم الشعراء فى هذا الكتاب الى سبع طبقات : وهم أصـحاب المعلقات وأصحاب المجمهرات، وأصحاب المنتقيات ، وأصحاب المذهبات، وأصـحاب المراثى ، وأصـحاب المشوبات — أى التى شـابها الكفر والاسلام ، لأن أصحابها من المخضرمين الذين عاشـوا فى الجاهليـة والاسلام ، — وأصحاب الملحمات — أى الملتحمة فى نظمها •

كل هذه الأدلة القاطعة تشهد بوجود التدوين فى العصر الجـاهلى واتساع حركته فى العصور التالية له ، وكلما تطلبت الحاجة اليه •

ومن ذلك أيضا ما كان من أمر أسرى بدر اذ أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جعل فداء بعض أسرى قريش فى بدر ممن تعلمـوا

---

(٣٤) راجع المفضليات والأصمعيات •
(٣٥) المصدر نفسـه •
(٣٦) راجع : المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى — عز الدين اسماعيل ص : ٨٠ ، ٨١ •

الكتابة أن يعلموها عشرة من صبيان المدينة (٣٧) ، أى أن كل واحد من الأسرى الذين يقرءون ويكتبون يفدى نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين فى المدينة القراءة والكتابة • وهذا دليل على أن كثيرا من العرب قبل الاسلام وفى مستهل الدعوة المحمدية كانوا يعرفون القراءة والكتابة وينتفعون بذلك فى حياتهم وتدوين معارفهم، وكتابة عهودهم ومواثيقهم، وأغراضهم التجارية •

وحينما نزل الوحى على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كتب له آيات القرآن الكريم جماعة من الرجال الذين أسلموا وكانوا فى جاهليتهم يعرفون القراءة والكتابة ويسجلون بها حاجاتهم ومتطلبات حياتهم • وعرف هؤلاء بكتاب الوحى ، وكان على رأسهم : عثمان ابن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وخالد ابن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان •• وغيرهم ممن كتب الوحى والمعاهدات والوثائق ، وغيرها من حوائج النبى — صلى الله عليه وسلم•

الى غير ذلك من الشواهد الدالة على وجود الكتابة فى العصر الجاهلى بصورة ليست بالقليلة ، وان كانت لا تخالف التعميم بأنهم كانوا أمة أمية كما حكى القرآن الكريم ذلك • لكنها على كل حال تدل على وجود التدوين وبدايته الفعلية بصورة مبسطة منذ العصر الجاهلى وقبل مرحلة التدوين العام الذى كان فى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث الهجرى ، والتى شملت جميع العلوم والمعارف آنذاك •

---

(٣٧) راجع : فجر الاسلام للأستاذ أحمد أمين ص : ١٧٠،حياة محمد للدكتور / محمد حسين هيكل ص : ٤٩ ط ١٦ دار المعارف •

الفصل الثانى

الكتابة والتدوين فى عصر صدر الاسلام

حين جاء الاسلام ونزل القرآن اتسعت رقعة الكتابة شيئاً فشيئاً وزاد حجمها وعلا شأنها وارتفعت منزلتها أكثر مما كانت عليه قبل الاسلام • وذلك لأن القرآن الكريم حث على تعلم القراءة والكتابة لأنها سبيل العلم والمعرفة ، فكانت أول آياته التى نزلت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هى قول الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم • اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » (١) •

وليس هذا فحسب بل ورد فى القرآن الكريم ذكر كثير للقلم والكتاب واللوح والقرطاس والصحف والمداد ، من مثل قوله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون » (٢) ، وقوله تعالى : « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور » (٣) ، وقوله تعالى : « بل هو قرآن مجيد • فى لوح محفوظ » (٤) ، وقوله تعالى : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » (٥) ، وقوله تعالى : « ان هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى » (٦) ،

---

(١) سورة العلق الآيات من ١ — ٥ •
(٢) سورة القلم آية رقم : ١ •
(٣) سورة الطور الآيات ١ ، ٢ ، ٣ •
(٤) سورة البروج الآيتان : ٢١ ، ٢٢ •
(٥) سورة الأنعام آية رقم ٧ •
(٦) سورة الأعلى الآيتان ١٨ ، ١٩ •

وقوله تعالى : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا »(٧) •

وقوله تعالى : « ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم »(٨) •

وهذه أدلة قوية على اهتمام الله تبارك وتعالى وعنايته بالعلم وتحصيله ولا يكون ذلك الا بالقراءة والكتابة ولذلك ذكرهما وذكر أدواتهما وحض عليهما • وجعل الناس ليسوا سواء فى الحياة الدنيا حين قال تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر أولوا الألباب »(٩) ، أى الناس جميعا ليسوا سواء فى العلم وعدمه ، وبالتالى فهم ليسوا سواء فى الخشية من الله تعالى • ولذلك قال الله تعالى فى القرآن الكريم : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (١٠) •

هذا فضلا عن أن الكتابة من الأمور الهامة فى حياة الناس ومعاملاتهم • ولذلك حض القرآن الكريم على اتخاذها فى المعاملات والديون ، لتكون هناك وثائق بين المتداينين اذ يقول الحق تبارك وتعالى : « ياأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق •• » (١١) •

---

(٧) سورة الكهف الآية رقم ١٠٩ •
(٨) سورة لقمان الآية رقم ٢٧ •
(٩) سورة الزمر آية رقم ٩ •
(١٠) سورة فاطر آية رقم ٢٨ •
(١٠) سورة فاطر آية رقم ٢٨ •
(١١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢ •

وكما حث القرآن الكريم على تعلم القراءة والكتابة وتحصيل العلم حث على ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أيضا فى أحاديثه الكثيرة . والتا منها قوله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، وقوله : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » . وقد جعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فداء بعض أسرى بدر أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، كما ذكرنا سابقا .

بل أكثر من ذلك فان الرسول — صلى الله عليه وسلم — يدعو بعض أصحابه الى تعلم اللغات الأجنبية ، ففى البخارى ، عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : « أتى بى النبى — صلى الله عليه وسلم — حين مقدمة المدينة ، فقيل : هذا من بنى النجار ، وقد قرأ سبع عشرة سورة من القرآن الكريم ، فقرأت عليه ، فأعجبه ذلك ، فقال : تعلم كتاب يهود ، فانى ما آمنهم على كتابى ، ففعلت ، فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له اليهم ، واذا كتبوا اليه قرأت له »(١٢).

وكان للكتابة أهميتها الجليلة فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — اذ كانت هناك كتابة الوحى ، وكتابة الوثائق والمعاهدات والرسائل التى أرسلها النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الملوك والقياصرة والأقيال والعباهلة من أهل اليمن وحضرموت ، والى أساقفة الشام وأمرائها ، والى المقوقس صاحب مصر ، والنجاشى صاحب الحبشة .. وغير هؤلاء ممن راسلهم النبى — صلى الله عليه وسلم — بكتبه يدعوهم فيها الى الدخول فى الاسلام بأسلوب مبسط وعبارة بليغة .

تدوين القرآن :

وكان أول أثر نال اهتمام النبى — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه

---

(١٣) فجر الاسلام — أحمد أمين ص ٢٧٦

بالتدوين هو القــرآن الكريم الذى أنزله الله على رسوله — صلى الله عليه وسلم — بلفظه ومعناه فى نحو ثلاث وعشرين سنة • وكان أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — ورضى الله عنهم يكتبونه بأمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى الرقاع والعظام واللخاف وسعف النخيل •• وغيرها • وهذه هى المرحلة الأولى من كتابة القرآن الكريم وتدوينه•

فقد نقل السيوطى فى « الاتقان » عن الحاكم فى المستدرك قــوله: « جمع القرآن ثلاث مرات :

احداها : بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم •

الثانية : بحضرة أبى بكر • روى البخارى فى صحيحه عن زيد ابن ثابت قال : أرسل الى أبو بكر « بعد » مقتل أهل اليمامه ، فاذا عمر ابن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : ان عمر أتانى فقــال : ان القتل قــد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن • وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن• فقلت لعمر:كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ قال عمر : هو والله خير • فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر • قال زيد : قال أبو بكر انك شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فتتبع القرآن اجمعه • فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن • قلت كيف تفعــلان شيئا لم يفعله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ قال أبو بكــر : هو والله خير • فلم يزل أبو بكر يراجعنى ، حتى شرح الله صــدرى للذى شرح الله له صدر أبى بكر وعمــر • فتتبعت القرآن أجمعــه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، ووجــدت آخر سورة التــوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره ، لقد جاءكم رســول ، حتى

خاتمة براءة • فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر عدد حياته ، ثم حفصة بنت عمر » •

الثالثة : هى ترتيب السور فى زمن عثمان • روى البخارى عن انس أن حذيفة ابن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال لعثمان أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل الى حفصة أن أرسلى الينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف • ثم رد عثمان الصحف الى حفصة ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » (١٣) •

وكان « الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان : أن جمع أبى بكر كان لخشيه أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته ، لأنه لم يكن مجموعا فى موضع واحد ، فجمعه فى صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبى ــ صلى الله عليه وسلم • وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات ، فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض ، فخشى من تفاقم الأمر فى ذلك ، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتبا لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم » (١٤) •

---

(١٣) الاتقان فى علوم القرآن ــ جلال الدين السيوطى ٥٧ ، ٥٨ ، ١/٥٩ عالم الكتب ــ بيروت •

(١٤) المصدر نفسه ١/٦٠ •

أى أن جمع أبى بكر كان جمعا لمتفرق القرآن فى مصحف واحد .
أما جمع عثمان فكان جمعا لأوجه القراءات المختلفة على قراءة واحدة بلغة واحدة هى لغة قريش التى نزل بها القرآن الكريم . مع ترتيب السور القرآنية على الوضع الذى هى عليه الآن .

واختلف العلماء فى عدد المصاحف التى كتبها عثمان . فقيل : أربعة، وقيل : خمسة ، وقيل : ستة . وقيل سبعة . قال ابن أبى داؤود : « وسمعت أبا حاتم السجستانى يقول : كتب — أى عثمان — سبعة مصاحف ، فأرسل الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة والى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا » (١٥) .

ولم يكن اختلاف الناس فى القراءة القرآنية فى الأمصار الاسلامية قبل مصحف عثمان الا لأن القرآن الكريم لم يكن منقوطا ولا مضبوطا بالشكل فى أول أمره شأن الكتابات العربية آنذاك . ولهذا نهض أبو الأسود الدؤلى فى عهد معاوية بن أبى سفيان فضبط أواخر الكلمات القرآنية بجعل الفتحة نقطة من فوق الحرف والكسرة نقطة من تحت الحرف والضمة نقطة بين يدى الحرف .

ولكن هذه الطريقة اذا كانت تصلح فى عهد أبى الأسود حيث يستطيع قارىء القرآن آنئذ أن يميز بين الكلمات المنصوبة والمجرورة والمرفوعة ، فانها لا تصلح فى العصور اللاحقة لعصر أبى الأسود . لأن النقط التى وضعت علامة اعراب وضبط لأواخر الكلمات قد تلتبس بالنقط التى وضعت فيما بعد لتمييز حروف الكلمات . فالفتحة قد تلتبس بنقطة النون والخاء والذال والزاى والفاء ونقطتى التاء والقاف . والكسرة قد تلتبس بنقطة الباء والجيم ونقطتى الياء . والضمة قد تلتبس بنقطتى التاء المفتوحة والثاء والشين .. وهكذا .

(١٥) المصدر نفسه ١/٦٠ .

ولذلك فان مشكلة النطق والقراءة القرآنية الموحدة لم تحل حلا جذريا بالرغم من اجتماع الناس على مصحف عثمان الا بعد وضع النقط والتشكيل الأخير لكلمات القرآن الكريم • وقد قام بهذه المهمه أبو الأسود الدؤلى أيضا • وقيل : الذى قام بهذه المهمة هو : نصر ابن عاصم الليثي المتوفى سنة ٩٠ هـ بأمر الحجاج بن يوسف الثقفى عامل عبد الملك بن مروان على العراق(١٦) •الا ان هذه التعديلات التى جرت على حروف الكلمات القرآنية من حيث التنقيط والضبط بالشكل ، انما جرت على مصحف عثمان دون تعديل فى ذات الحروف والطريقة التى كتبت بها كلمات القرآن الكريم • وهذا كله من باب الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن أو التصحيف والتحريف • وهو من غير شك محفوظ بحفظ الله له ، وسيظل كذلك الى أن تقوم الساعة • وصدق الله العظيم حين يقول : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » •

تدوين الحديث الشريف :

لم يختلف اثنان على كتابة القرآن الكريم وتدوينه فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — وكذلك فى عهدى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما •

أما الحديث النبوى الشريف فقد كثرت الآراء حول تدوينه •فهناك من يعتقد أن الحديث النبوى لم يدون فى أول أمره ولكنه ظل فترة طويلة يتناقل رواية شفهية ، وأنه « فى حياة النبى عليه السلام وفى حياة الخلفاء الراشدين وفترة من الزمن طويلة مدة الخلافة الأموية لم يكن الحديث مدونا » (١٧) •

ويتحدث عمر الدقاق عن العلوم والمعارف فى عصرى صدر الاسلام وبنى أمية ثم يقول : « على أن أكثر هذه المعارف فى العصرين الراشدى

---

(١٦) مصادر التراث العربى ١٣ د/ عمر الدقاق •

(١٧) دراسات فى المكتبة العربية — محمد أحمد خلف الله ص ٣٩ — القاهرة ١٩٥٨م •

والأموى كانت تتناقل شفاها ، سواء فى ذلك الحديث النبوى والتفسير والسيرة والمغازى والشعر والقصص والأمثال • ولم يقيض لحركة التدوين الشاملة أن تبدأ الا بعد انقضاء القرن الأول للهجرة وانتهاء عهد الفتوح ، ثم قيام الدولة العباسية واستقرارها • واذا استثنينا القرآن لم نقف على أثر مدون ذى بال قبل هذه الحقبة من حياة العرب والمسلمين » (١٨) •

وبنى أصحاب هذا الاعتقاد رأيهم على ما ورد من أن النبى — صلى الله عليه وسلم — خشى أن يضاهى بكتاب الله غيره ، أو أن ينشغل الناس عن القرآن بسواه ، وأن أكثر الأعراب حينئذ لم يكونوا فقهاء فى الدين ، ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يؤمن أن يلحقوا مايجدون من الصحف المكتوبة فى غير القرآن بالقرآن ، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن (١٩) • فقال محدثا أصحابه : « لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فيلمحه • ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار يوم القيامة » •

ولكن اعتقادهم هذا فيه نظر • اذ أن الرواية الشفوية كان لها أكبر الأثر فى تناقل الحديث الشريف وذيوعه بين المسلمين ، ومع هذا فلم يمتنع على الرواة أن يدونوا بعض ما سمعوه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وقد ثبت ذلك بالفعل • فقد روى الامام أحمد بن حنبل فى مسنده : أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — بعلمه واذنه ، وأنه سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : هل يكتب كل ما يسمع ؟ — أى منه صلى الله عليه

---

(١٨) مصادر التراث العربى ١٥ ، ١٦ •

(١٩) راجع : تقييد العلم للخطيب البغدادى ص ٥٧ تحقيق يوسف العش — دمشق ١٩٤٩ م •

وسلم — فقال — صلى الله عليه وسلم — : « أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني الا حق »(٢٠) ٠

وهذا صحابي آخر هو عبد الله ابن عباس ٠ قيل كان عنده حمل بعير كتبا ، كتبها في الحديث وغيره (٢١) ٠ وثبت أيضا أن أبا هريرة وأنس بن مالك وسعد بن عبادة وغيرهم كثيرين كانوا يكتبون الحديث الشريف ويدونونه في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومن ذلك أن ابنا لعمرو بن أمية الضمري قال : تحدثت عند أبي هريرة بحديث ، فأنكر ، فقلت : اني قد سمعته منك ٠ فقال : ان كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي ، فأخذ بيدي الى بيته ، فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوجد ذلك الحديث (٢٢)٠ ثم جاء التابعون ودونوا الحديث أيضا ٠ ومن هؤلاء : عروة بن الزبير وسعيد بن جبير والحسن البصري وهمام بن منبه ٠٠ وغيرهم ٠

وهذا يدل على أن أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — قد دون منها الكثير في وقت مبكر قبل عصر التدوين العام بل في عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأن مرحلة التدوين العام قد بدأت حينما رأى القائمون على العلم خطر ترك الحديث والتراث الاسلامي بدون تدوين ٠

الكتب والعهود :

ولم يكن تدوين القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية هما كل حجم الكتابة والتدوين في عهد النبي — صلى الله عليه وسلم — وخلفائه

---

(٢٠) مسند الامام أحمد ٠ حديث رقم ٦٥١٠ ، ورقم ٦٨٠٢ ٠

(٢١) طبقات ابن سعد ٢١٦/٥ ٠

(٢٢) مقال للدكتور : محمد حميد الله في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق الجزء الأول ص ١٠٥ سنة ١٩٥٣م ٠

الراشدين بل كتبت فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — الكتب والمعاهدات والوثائق الكثيرة التى اقتضتها الحاجة فى الدعوة الاسلامية، كالكتب التى أرسلها النبى — صلى الله عليه وسلم — الى الملوك والقياصرة والأكاسرة ، والى الأقيال والعباهلة من أهل اليمن وحضرموت والى أساقفة الشام وأمرائها والى المقوقس صاحب مصر والنجاشى ملك الحبشة • وكذا الى القبائل المختلفة لعقد حلف وابرام أمر يمس العقيدة ، أو لدعوتهم الى الاسلام واعطائهم الأمن والأمان ، وكتب الغنائم والاقطاعات •• وما الى ذلك من كتبه — صلى الله عليه وسلم — ومعاهداته الكثيرة •

ومن هذه الكتب التى أمر النبى — صلى الله عليه وسلم — بها : الكتاب الذى أرسله الى مسيلمة الكذاب ردا على كتابه • وقد كان مسيلمة بن حبيب كتب الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول له : « من مسيلمة رسول الله ، الى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ، فأنى قد أشركت فى الأمر معك ، وان لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون » •

فقدم عليه — صلى الله عليه وسلم — رسولان لمسيلمة بهذا الكتاب، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال — أى مسيلمة — فقال النبى — صلى الله عليه وسلم —: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما •

ثم كتب الى مسيلمة : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ، الى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى • أما بعد ، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (٢٣) •

---

(٢٣) سيرة ابن هشام ٤/٦٠ ط ٢ القاهرة — عيسى الحلبى ١٩٥٥م

ومن ذلك أيضا معاهدة الصلح التى كتبها على بن أبى طالب بأمــر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بينه وبين سهيل بن عمرو مندوب قريش فى صلح الحديبية•وقد جاء فى شروط الصلح : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحــرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعــض ، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة (٢٤) ، وأنه لا اسلال ولا اغلال (٢٥) ، وانه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه» (٢٦)•

وتوالت رسائل النبى — صلى‌الله عليه وسلم — ووثائقه ومعاهداته الكثيرة ، وهى فى أغلبها وان كانت تجنح الى ناحية سياسية الا أنهــا كتبت بأسلوب أدبى من طراز رفيع ، ويكفى أنها من بلاغة النبوة •

وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله تبارك وتعــالى عنه اتســعت الكتابة وزادت الحاجة اليها أكثر مما كانت عليه فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — اذ وجه كتبه وعهوده الى قادة جيوشه والى البــلاد المفتوحة فى الأمور والمهام المختلفة•فأرسل كتابا الى القبائل المرتدة(٢٧) وعظهم فيه قائلا لهم بعد أن حمد الله وأثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان انما يعبد محمدا فان محمدا قد مــات ، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له ، فان الله له بالمرصاد ، حى قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره منتقم من عدوه •• » •

---

(٢٤) العيبة المكفوفة : الصدور المنطوية على ما فيها • والمراد : الذمة لا تنكث •

(٢٥) الاسلال : السرقة الخفية • والاغلال : الخيانة •

(٢٦) سيرة ابن هشام ٣/٣١٧ •

(٢٧) الطبرى ٣/٢٠٥ • راجع كتب أبى بكر الصديق وعهوده فى الطبرى ج ٣ ، فتوح الشام للواقدى جـ ١ ، الكامل للمبرد ج ٢ ، العقد

وظل يلقى بمواعظه الى المرتدين الى أن خاطبهم قائلا لهم : « وانى بعثت اليكم فلانا فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان ، وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتلـه حتى يدعـوه الى داعيـة الله ، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعـانه عليه ، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقى على أحد منهم قـدر عليه ، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبى النساء والذرارى ، ولا يقبل من أحد الا الاسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله .. ، الى آخر الكتاب .

كما كتب عهدا الى قادة الجيوش المتجهة لقتال المرتدين.وكتابا الى عمال الرده وتوالت كتبه الكثيرة الى أهل مكة يستنفرهم للجهاد ، الى وجوه اليمن وأهليهم يستنفرهم أيضا للجهاد ، والى عكرمة ابن أبى جهل يدعوه لمساندة حذيفة وعرفجه فى قتال أهل عمان ومهرة . والى العلاء الحضرمى يدعوه لقتال بنى شيبان بن ثعلبة ، وتوالت كتبه وعهـوده الكثيرة التى كان آخرها عهده لعمر بن الخطاب عند موته ، وهو كتاب أملاه على عثمان ابن عفان فى مرض موته يبلغ فيه المسلمين باستخلاف عمر بن الخطاب عليهم قائلا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا مايعهد به أبو بكر بن أبى قحافة خليفة محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند آخر عهده بالدنيا نازحا عنها . وأول عهده بالآخرة داخلا فيها ، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ، ويصدق الكاذب : انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فانه بر وعدل ، فذلك علمى به ورأيى فيه ، وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت ، ولكل امرىء ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

الفريد ج ٢ ، اعجـاز القرآن للباقلانى ص : ٤٣ ، الامامة والسياسـة لابن قتيبة ١/١١٩ ، الخراج لأبى يوسف يعقوب بن ابراهيم ص ١٦٠ ، أدب الخلفاء الراشدين لجابر قميحة من ص : ٥١ الى ص ٦٦ .

وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتسعت رقعة الكتابة أكثر مما كانت عليه فى عهدى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، اذ أنها أصبحت جزءا أساسيا من أعمال الدولة الاسلامية فى عهده ، وتضمنت الكتابة كل تعاليم الدولة ، وكل ما رسمته سياسته للمسلمين وأهل الذمة من العلاقات السياسية والاقتصادية فى الخراج وقسمة الغنائم ، وكل ما يتصل بالأنظمة فى الشعوب والبـــلاد المفتـوحة .

وأكثر كتبه وعهوده كانت لقادة جيوشه وعماله على البلاد المفتوحة. ومن ذلك (٢٨) : وصيته لقادة جيوشه عنـــد عقـــد الألوية لهم . حيث يقول فيها . « بسم الله ، وعلى عون الله ، وامضوا بتأييد الله بالنصر . « وما النصر الا من عند الله » وبلزوم الصدق والصبر، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القـــدرة ، ولا تسرفوا عنـــد الظهـــور ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند حمة النهضـــان ، وفى شن الغـــارات ، ولا تغلوا عند الغنـــائم ، ونزهوا الجهـــاد عن عرض الدنيـــا ، وأبشروا بالرباح بالبيـــع الذى بايعتم به ، « وذلك هو الفوز العظيم ») .

ومن ذلك أيضا كتـــابه الى ملك الروم حيث قال فيه : « انه بلغنى أن حيا من أحيـــاء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتخرجنه ، أو لننبذن (٢٩) الى النصارى ، ثم لنخرجنهم اليك » (٣٠)

---

(٢٨) سيرة عمر بن الخطاب للجوزى ص ٦٥ .
(٢٩) المنابذة : نقض العهد .
(٣٠) تاريخ الطبرى جـ ٤ .

ومنها كتابه الى عمرو بن العاص وهو فى طريقه الى مصر قال فيه : « من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ، أما بعد : فانك سرت الى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم ، وانما معك نفر يسير ، ولعمرى لو نكل بك ما سرت بهم ، فان لم تكن بلغت مصر فارجع » .

وتوغل عمرو فى مصر وارسل الى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف وكتب اليه : « انى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، منهم رجال مقام الألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، واعلم أن معك اثنى عشر ألفا ، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة » (٣١) .

وفى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أرسلت الكتب والعهود الى قادة الجيوش وعمال البلاد المفتوحة . وفى المهام الكثيرة وشئون البلاد .

ومن ذلك كتاب عثمان الى الوليد بن عقبة والى الكوفة من قبله ، يطلب منه أن يمد معاوية ابن أبى سفيان فى حرب الروم بعدد من جند المسلمين يتراوح بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف ، يقول فيه عثمان : « الى الوليد بن عقبة . أما بعد : فان معاوية بن أبى سفيان كتب الي يخبرني أن الروم قد أجلبت (أى هجمت) على المسلمين

---

(٣١) خطط المقريزى ٢/٢٨٨ ، ٢٨٩ ، راجع كتب عمر بن الخطاب فى : الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ، خطط المقريزى ج ٢ ، سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ، تاريخ الطبرى ج ٣ ، ٤ ، العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ، نهاية الأرب للنويرى ج ٦ ، الخراج لأبى يوسف ص ٦٨ ، البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ، فتوح الشام للواقدى ج ١ ، جمهرة رسائل العرب ، أحمد زكى صفوت ص : ١٥٧ ، أدب الخلفاء الراشدين ، جابر قميحة من ص : ١١٠ الى ص : ١٤٨ .

بجموع عظيمة ، وقد رأيت أن يمدهم اخوانهم من أهل الكوفة ، فاذا أتاك كتابى هذا فابعث رجلا ممن ترضى نجـدته وبأسـه وشـجاعته واسلامه فى ثمانية آلاف ، أو تسعة آلاف ، أو عشرة آلاف اليهم ، من المكان الذى يأتيك فيه رسولى والسلام »(٣٢) .

وتوالت كتبه وعهوده الكثيرة ، وكان آخرها الكتاب الذى أرسله مع نافع بن طريف الى أهل مكة فى موسم الحج سنة ٣٥هـ يستنجد فيه بالحجيج طالبا منهم فيه أن يخلصوه من ظلم الرجال الذين حبسوه فى بيته ثم قتلوه بعد ذلك . يقول فيه :« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين الى من حضر الحج من المسلمين .

أما بعد : فانى كتبت اليكم كتابى هـذا ، وأنا محصور ، أشرب من بئر القصر ، ـ أى الحبس ولا آكل من الطعام ما يكفينى ، خيفة أن تنفذ ذخيرتى فأموت جـوعا أنا ومن معى ، ولا أدعى الى توبة أقبلها ، ولا تسمع منى حجة أقولها ، فأنشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابى الا قدم على ، فأخذ الحق فى ، ومنعنى من الظلم والباطل (٣٣).

وكتب عثمان هـذه وان كانت كثيرة ومتنـوعة ، الا أنها لم تزد على ما كانت عليه فى عهد عمر رضى الله عنه .

وفى عهد على بن أبى طالب كرم الله وجهه كثرت الكتب والعهـود وتنوعت فى معانيها وأهدافها ، حيث كثرت الأحزاب واتسعت ميـادين الحروب وكثرت جبهات القتال فى عهده وهذا ما جعل كتبـه تجنح فى

---

(٣٢) الطبرى ٢٤٧/٤ .

(٣٣) الامامة والسياسة ٣٦/١ وراجع كتب عثمان بن عفان فى : أشهر مشاهير الاسلام جـ ٤ رفيق العظم ، والطبرى جـ ٤ ، العقد الفريد جـ ٢ ، الكامل للمبرد جـ ٣ ، الخراج لأبى يوسف يعقوب بن ابراهيم .

أكثرها الى نواح سياسية ، ومن هـذه الكتب الكثيرة كتـابه الى أهل الكوفة يحدثهم فيه عن عثمان بن عفان وموقف الناس منـه ، وموقفه هو منه ، ومبايعة النـاس له طائعين مخيرين • ثم يدعوهم فى نهـايه الكتاب الى جهاد العدو معه • يقول على فى كتابه هذا : « من عبد الله على أمير المؤمنين الى أهل الكوفة ، جبهة الأنصار وسنام العرب أما بعد: فانى أخبركم عن أمر عثمان ، حتى يكون سمعه كعيانه •

ان الناس طعنوا عليه ، فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه — أى استرضاءه — وأقل عتابه ، وكان طلحة والزبير أهون سـيرهما فيه الوجيف (٣٤) • وأرفق حدائهما العنيف ، وكان من عائشة فيه فلتة غضب ، فأتيـح له قوم فقتلـوه ، وبايعنى النـاس غير مسـتكرهين ولا مجبرين ، بل طائعين مخيرين • واعلموا أن دار الهجرة قـد قلعت بأهلها ، وقلعوا بها ، وجاشت جيش المرجل ، وقامت الفتنة على القطب فأسرعوا الى أميركم ، وبادروا جهاد عدوكم ان شاء الله » (٣٥) •

وأرسل كتابا الى معاوية بن أبى سـفيان يحـدثه فيه عن بيعتـه وبراءته من دم عثمان فقال فيه : « بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشـاهد أن يختـار ولا للغائب أن يرد ، وانما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضى ، فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه الى ما خرج منـه ، فان أبى قاتلوه على اتبـاعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولاه •

---

(٣٤) الوجيف : ضرب من السير السريع — دار الهجرة : المدينة — قيام الفتنة على القطب : كناية عن شدة الفتنة وتسعرها •

(٣٥) نهج البـلاغة للامام على بن أبى طالب ٣/٢ ، ٧ شرح الشـيخ محمد عبده — بيروت •

ولعمرى يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان ولتعلمن أنى كنت فى عزلة عنه ، الا أن نتجنى فتجن ما بدالك والسلام »(٣٦) •

وهكذا اتسع ميدان الكتابة وتنوعت موضوعاتها وكثرت الحاجة اليها فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — وخلفائه الراشدين ، فكانت هناك العشرات من الكتب والعهود والوصايا للنبى — صلى الله عليه وسلم — ولخلفائه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين • وذلك لأن الكتابة قد أسهمت اسهاما كبيرا فى ارساء قواعد الدولة الاسلامية ، وحملت مجموع النظم والتعاليم الجديدة التى تدعوا اليها ، ولم يكن للعرب بها عهد من قبل •

ولا نكون مغالين اذا قلنا : ان الكتابة قد « وسعت كل الحاجات السياسية التى جدت ، وكل ما أعطى للمسلمين المحاربين والشعوب المفتوحة من حقوق » (٣٧) •

وهذا كله يدل على وجود التدوين وكثرته ورقيه فى عصر صدر الاسلام •

ولذا فان ما قاله جرجى زيدان فى هذا الشأن مرفوض ، اذ أنه يرى أن تدوين العلوم فى كتب فى صدر الاسلام كان ممنوعا لأسباب ذكرها هو دون غيره ، ولا أراها معقولة بحال من الأحوال • وهى أن الخلفاء الراشدين كانوا يخافون الحضارة على العرب حتى لا تذهب بنشاطهم وبداوتهم ، ولقلة الاختلاف فى التفسير والحديث بينهم ، وحتى يبقى الناس فى حاجة اليهم رأسا • وذكر أن ابن عباس نهى عن

---

(٣٦) المرجع السابق •

(٣٧) العصر الاسلامى ص ١٣٤ د• شوقى ضيف • راجع كتب الامام على بن أبى طالب فى نهج البلاغة جـ ٣ •

الكتابة وتدوين العلم ، على الرغم من أن الباحثين قد أثبتوا تدوين ابن عباس للعلم وتصنيف الكتب ، وأنه كان عنده حمل بعير كتبا . وذكر أيضا : أن سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٤ أو ٩٥ للهجرة الشريفة سئل من رجل معاصر له أن يفسر له القرآن ، فغضب ، وقال: « لأن يسقط شقى أحب الى من ذلك » ولا ندرى من أين لجرجي زيدان بهذا الكلام المنقول عن ابن جبير وبحق أو بباطل ؟

والمعروف أن عروة بن الزبير بن العوام وهو تابعى وابن صحابى جليل كان يفسر القرآن ويدون التواريخ ولا أحد ينكر عليه ذلك ، وفى سيرة ابن هشام نماذج من تفسيره للقرآن الكريم . وكتابه (مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور ومعروف فى المكتبات العربية . وغيرهم من معاصريه وممن كانوا قبله فسروا القرآن ودونوا الحديث وعنوا بكتب النبى — صلى الله عليه وسلم — وخلفائه عناية شديدة . فلا أدرى لماذا ينفى جرجى زيدان تدوين العلم فى صدر الاسلام . بل فى القرن الأول الهجري كله ؟ ومن أين له بالأسباب التى ذكرها ، الا أن تكون وجهة نظر مرفوضة ؟

يقول جرجى زيدان فى ذلك : « ان الخلفاء الراشدين كانوا يخافون الحضارة على العرب لئلا تذهب بنشاطهم وبداوتهم ، ولذلك منعوهم من تدوين الكتب لأن علومهم فى أوائل الاسلام كانت قاصرة على القرآن والتفسير ورواية الحديث ، ونظرا لقلة الاختلاف ، ولسهولة المراجعة والاستفتاء من ثقات الصحابة والتابعين ولقرب عهدهم من صاحب الشريعة كانوا فى غنى عن تدوين تلك العلوم ، ويستدل مما روى عن أبى سعيد الخدرى أنه استأذن النبى — صلى الله عليه وسلم — فى كتابة العلم فلم يأذن له . وروى عن ابن عباس أنه نهى عن الكتابة وقال : « انما ضل من كان قبلكم بالكتابة » وجاء رجل الى ابن عباس فقال : « انى كتبت كتابا أريد أن أعرضه عليك »

فلما عرضه عليه أخذه منه ومحاه بالماء ، وقيل له : « لماذا فعلت ذلك ؟ فقال : لأنهم اذا كتبوا اعتمدوا على الكتابة وتركوا الحفظ ، فيعرض للكتابة عارض فيفوت علمهم ، وأن الكتاب يزاد فيه وينقص ويغير ، والمحفوظ لا يمكن تغييره » .

ويعلق جرجى زيدان على هذا الكلام بقوله : « وكان هذا الاعتقاد فاشيا فى الصحابة والتابعين ، وتمسك به جماعة من كبارهم ، وكانوا اذا سئلوا تدوين علمهم أبوا واستعفوا ، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك ليبقى الناس فى حاجة اليهم رأسا ، سأل رجل سعيد بن جبير وهو من أعلام التابعين أن يكتب له تفسير القرن فغضب وقال : « لأن يسقط شقى أحب الى من ذلك » (٣٨) .

وهذا الكلام لا يتفق مع الأدلة الكثيرة والقوية التى تثبت وجود الكتابة والتدوين فى عصر صدر الاسلام ، وأن الحاجة كانت ماسة لذلك .

وكلما تقدم الزمن اتسعت دائرة الكتابة والتدوين أكثر وأكثر ، واشتغل كثير من الناس بجمع الأخبار والآثار الأدبية والعلمية وتصنيفها وترتيبها واستخراج الأحكام والشواهد منها ، والاستدلال على صحة قولهم بأقوال العرب فى شعرهم ونثرهم ، ولذلك دون من آثار العرب الجاهليين والاسلاميين فى شرح الحديث والتفسير والتاريخ وذكر الأنساب آثار كثيرة ، بعضها من المدون فى الجاهلية والاسلام وبعضها كان مرويا مشافهة ، ولكن كتب له التدوين بذكره فى الكتب التى كتبت فى العصر الاسلامى وما تلاه من عصور العلم والأدب ، وكل هذه أدلة قوية على وجود الكتابة والتدوين فى العصر الجاهلى ، وفى القرن الأول الهجرى الذى نفى عنه جرجى زيدان ذلك .

---

(٣٨) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ مجلد ٢ ص : ٥٥ ، ٥٦ . دار الحياة - بيروت .

الفصل الثالث

الكتابة والتدوين فى العصر الأمـوى

لما كان العصر الأموى واتسعت موجة الكتابة والتدوين فيه كثيرا ، دعت العرب والمسلمين دواع كثيرة لتدوين علومهم العربية والدينية ، ولاضافة ما وصلهم من علوم الأعاجم ومعارفهم المختلفة — ومن هذه الدواعى :

وجود عناصر أعجمية كثيرة تعرف القراءة والكتابة ونظام التدوين فهى تقوم بعبء عظيم ، وعليها يعتمد التدوين اعتمادا كبيرا .

ومنها أن الحرب والجهاد قد أهلك أعدادا من العلماء والشعراء الذين أخذ العلم والشعر عنهم مشافهة ، وكثيرا من رواتهم ، ولابد من تقييد العلم وتدوينه حتى لا يضيع بموت الحفظة والرواة .

ومنها : حاجتهم الى المعارف الوافدة التى لا يستفاد منها الا بتدوينها ومراجعتها والاضافة اليها . والاستفادة منها كلما تطلب الأمر .

ومنها : حاجة الملك والسياسة الى مراجعة العلوم المختلفة التى يستفيد منها الحكام فى نظام حكمهم ، وصولا بدولهم الى مراقى الحضارة والثقافة .

وقد عنى بذلك معاوية بن أبى سفيان مؤسس دولة بنى أمية عناية فائقة . اذ أنه استكتب رجلا من أهل اليمن هو عبيد بن شرية الجرهمى بعض أخبار الأوائل فكتبها له . وعنى غيره من حكام الدولة الاموية

بالتاريخ كذلك خلفا لمعاوية ، واستحثوا على كتابته • فكتب وهب ابن منبه : المبتدأ والخبر ، وهو كتاب فى التاريخ ، وكتب كذلك • التيجان فى ملوك حمير ، وقصص الأنبياء ، وكتب الزهرى وأبان ابن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير وغيرهم كتبا كثيرة فى المغازى والسير ، وكان أولها فى سيرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم(١) •

هذا وقد توفر على الكتابة والتدوين والترجمة والتأليف جمع غفير من علماء العصر الأموى وأدبائه •

وكان أهم ما دون فى هذا العصر من العلوم والمعارف :

التفسير :

على الرغم من أن العرب فى الجاهلية والاسلام قد اشتهروا بالفصاحة والبلاغة والبيان ، الا أن المسلمين منهم حين نزل القرآن الكريم وقرأه عليهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ احتاج بعضهم الى السؤال عن معنى كلمة أو تفسير آية ، وكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجيبهم ويوضح لهم ما غمض عليهم • وربما كتب بعضهم بعض ما سمع من النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى هذا الشأن •

ثم كثر السؤال بعد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكثرت الاجابات عن معنى الكلمات وتفسير الآيات القرآنية وأسباب النزول • وكل ذلك قد دون ، فكان لابن عباس كتب فى تفسير القرآن الكريم وتوضيح غريبه وأحكامه وأسباب نزوله (٢) • وقد مر بنا أن كتب

---

(١) راجع : كتابنا دراسات فى الأدب العربى فى العصر الأموى ص ٣١ وما بعدها •

(٢) راجع الفهرست لابن النديم ص ٥٠ ط ١٩٥١ •

ابن عباس قد بلغت حمل بعير ، وأنها لم تكن جميعها فى الحديث بل ان جزءا كبيرا منها كان فى تفسير القرآن الكريم وبيان أحكامه .

كذلك اهتم بتفسير القرآن كثير من أصحاب النبى — صلى الله عليه وسلم — وتابعيهم ، وكان من أوائل التابعين : عروة بن الزبير وسعيد بن جبير والحسن البصرى وقتادة وغيرهم ممن عاصر بعضهم أو جاء بعدهم .

وقد جاء فى سيرة ابن هشام أن عروة بن الزبير قد فسر بعض ايات القرآن الكريم وتحدث عن أسباب نزولها . ومن ذلك ما رواه ابن هشام عن ابن اسحاق قال : « وهاجرت الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة (*) ، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن اسحاق : فحدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا الى ابن أبى هنيدة صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب اليه يسأله عن قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بايمانهن ، فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ، لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعصم الكوافر » (٣) .

قال ابن اسحاق وكتب اليه عروة بن الزبير : ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد

(*) يقصد بعد صلح الحديبية .

(٣) سورة الممتحنة الآية رقم ١٠ .

عليهم من جاء بغير أذن وليه ، فلما هاجرت النساء الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والى الاسلام ، فعرفوا أنهن انما جئن رغبة في الاسلام ، وأمر برد صدقاتهن اليهم ان احتبسن عنهم ، ان هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم • فأمسك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل عن صدقات النساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم ، ان هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردد لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد » (٤) •

وروى أيضا : أن سعيد بن جبير أرسل اليه عبد الملك بن مروان أن يكتب اليه تفسير القرآن ، فكتب اليه سعيد بن جبير بتفسيره • فحفظه عبد الملك عنده في الديوان وروى أن عطاء بن دينار قد أخذ هذا التفسير من ديوان عبد الملك ورواه عن ابن جبير وان كان لم يسمعه منه (٥) •

وكثير من التابعين قد فسروا القرآن ورواه بعضهم عن بعض ، مراعين في تفسيرهم المأثور عن النبى — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه • حتى انتهى هذا التفسير الى تفسير ابن جرير الطبرى (٢٣٤ — ٣١٠ هـ) المعروف بـ « جامع البيان في تفسير القرآن » وهو أبرز نموذج لما عرف في مصطلح المفسرين بالتفسير بالمأثور •

---

(٤) سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٣٢٧ الطبعة الثانية — الناشر مصطفى البابى الحلبى •

(٥) مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية • د. ناصر الدين الأسد ص ١٩٤٨ ط ٦ • دار المعارف المصرية •

المغازي والسير :

ولم يكن تفسير القرآن الكريم مجرد توضيح المعاني والألفاظ واستخراج الأحكام الفقهية والقضايا البلاغية واللغوية ، ولكن اشتهر من بين من عنوا بالقرآن وتفسيره جمع من المؤرخين كان لهم فضل اهتمام بالسير والمغازي ، وكذا بقصص القرآن ، لما فيها من المواعظ والعبر ، وقد وصف الرسول — صلى الله عليه وسلم — القرآن الكريم بقوله : « كتاب الله ، فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم ... » . أي أن القرآن الكريم يشتمل على أخبار البشر منذ آدم عليه السلام وقصص الأنبياء قبل محمد — صلى الله عليه وسلم — ، ثم على أخبار محمد — صلى الله عليه وسلم — وسيرته ومغازيه . وهذه الأخبار والقصص وكذا المغازي منها ما هو مفصل في القرآن ، ومنها ما هو مجمل . وتفسير هذا كله تناوله المعنيون بالتاريخ من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتابعين .

وكان من أشهر من دونوا القصص والمغازي في كتب : عروة بن الزبير المتوفى سنة ٦٤ هـ . وله في ذلك كتاب (مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم) برواية أبي الأسود عنه (٦) وهو يشتمل على سيرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منذ تهيئته لاستقبال الوحي ، إلى مرض موته ووفاته — صلى الله عليه وسلم — وعلى ستة كتب من كتبه — صلى الله عليه وسلم — إلى ذرعة أهل نجران وذرعة أهل ثقيف وأهل هجر وأهل هيلة وأهل خزاعة ، وذرعة بن ذي يزن .

كما اشتمل الكتاب على ملحقات ثلاثة كتبها عروة :

---

(٦) راجع : مغازي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه . تحقيق دكتور : محمد مصطفى الأعظمي نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج — الرياض ١٩٨١م .

الأول : يتضمن كتاباته الى عبد الملك بن مروان وآخرين ، عن بيعة العقبة وهجرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعن ذكرى وقعة بدر ، وعن هوازن وغزوة الطائف .

والثانى : يتضمن أسماء من حضروا بدرا من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتسمية من استشهد منهم .

والثالث : يتضمن سير أعلام النبلاء .

ويعتبر عروة بكتابه هذا وغيره أول من صنف فى المغازى والسير (٧) . وقد اهتم بالسير والمغازى أيضا : أبان بن عثمان ابن عفان المتوفى سنة ١٠٥هـ . وقد أخذ عنه وروى له : المغيرة بن عبد الرحمن ، ووهب بن منبه وغيرهما .

وكتب فى السير والمغازى أيضا : ابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٥١ هـ . وأخذها عنه بعد تهذيب وتنقيح الواقدى المتوفى ٢٠٧ هـ وابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ وغيرهم كثيرون .

الحـــديث :

وقد اشتغل بروايته وتدوينه فى صدر الاسلام عبد الله بن عمرو ابن العاص ، وأبو هريرة وابن عباس ... وغيرهم ممن عنوا بالحديث وتدوينه . ولكن زاد هذا الامر واتسعت دائرته فى العصر الأموى ، فاشتغل به عاصم بن سليمان المتوفى سنة ١٤١ هـ ، وخالد الحذاء المتوفى سنة ١٤١ هـ ، وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦١ هـ ، ومحمد العامرى المتوفى سنة ١٢٠ هـ .... وغيرهم .

---

(٧) راجع : مصادر الشعر الجاهلى ص ١٤٩ د. ناصر الدين الأسد طبعة ٦ سنة ١٩٨٣ م .

النحـــو :

وكان أمر تدوينـــه ضرورة ملحة ، وذلك لاختلاط العرب بالعجم أثناء الفتوحات الاسلامية وبعدها ، اذ كثر اللحن واللغط فى الألفـــاظ العربية وتراكيبها . وكان لابد من تدوين النحو وتقنينه حفظـــا له من الضياع ، ومجهود أبى الأســـود الدؤلى واضح ومعـــروف فى هـــذا الأمـــر .

الشـــعر والأدب :

وقد اهتم بهما كثير من شعراء وأدباء ونقـــاد العصرين الأمـــوى والعباسى الأول . وكان أكثرهم اهتماما بجمع الشعر وتدوينه وروايته: حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦هـ . والمفضل الضبى المتوفى سنة ١٧٨هـ، والأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ هـ ، وأبا تمام — صاحب ديوان الحماسة — المتوفى ٢٣١ هـ .... وغيرهم كثيرون .

كما اهتم بالأدب وتدوينه والتأليف فيه رجال منهم : أبو مخنف ابن يحيى الأزدى المتوفى سنة ١٧٥هـ ، وعبد الحميـــد بن يحيى الكاتب المتوفى سنة ١٣٢ هـ .

الفقـــه الاسلامى :

وقد اشـــتغل به جمع غفـــير من الصحابة والتابعين فى العصرين الأموى والعباسى ، ويقال : ان أول ما كتب فى الفقه الاسلامى : هو كتاب أملاه زيد بن على بن الحسين على تلاميذه فى هذا المجال .

أصـــول الدين :

ويقصد بها المسائل المتعلقة بالذات الالهية والعلاقة بين الايمان والاسلام ، والمسائل المتعلقة بالرسل وصفاتهم ودعوتهم • وكثـــير من المسائل الدينية والدنيوية • وقد اشتغل بها كثير من العلماء من أمثال : واصل بن عطاء ، ووهب بن منبه وغيرهما •

ولم تكن هذه هي كل العلوم التي اهتموا بتدوينها والكتابة فيهـا والاشتغال بها ، ولكنهم اهتموا كذلك بالموسيقى والألحان — وبخاصة في مكة والمدينة — وبالطب والكيمياء ، وكان أكثرهم اهتماما بالكيميـاء : خالد بن يزيد المتوفى سنة ٨٥هـ •

الى غير ذلك من اهتمامات العلماء والأدباء والنقاد والمؤرخين بجمع شتات العلوم وتدوينها والانتفاع بها • وظل الحـــال هكذا الى أن كان التدوين العام لجميع العلوم والمعارف المعروفة لدى العـــرب والمسلمين في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري • وقد دعت الحاجه الى ذلك •

ولاشك أن هذا كله يدل دلالة قاطعة على أن التدوين لم تكن بدايته الحقيقية في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين ، كمـا ذكر غير واحد من البـــاحثين ، ولكنه بدأ منـذ وقت مبـكر في العصر الجاهلي ثم في عهد النبي — صلى الله عليه وسلم — وبعده وكلما تقدم الزمن كلما كبر حجمه وزادت الحاجة اليه • وما ذكره الباحثون من أن الرواية الشفهية قد سيطرت على الحياة العلميـــة قرنا أو أكثـــر من الزمان دون تدوين فهذا غير صحيح ؛ نظرا للدلائل التي وقفنا عليها •

الفصل الرابع

دواعى التدوين العام ومنهجه

هناك أمران هامان لم يساعدا على وجود التدوين العام لكل آثار العرب الا قليلا منه ابان العصور الأولى : الجاهلى وصدر الاسلام والأموى وحتى أوائل الدولة العباسية الأولى ، بالرغم من اتساع موجة الكتابة والتدوين فى صدر الاسلام عن العصر الجاهلى ، وفى العصر الأموى عن عصر صدر الاسلام ... وهكذا . هما :

١ ــ غلبة العامية على العرب فى الجاهلية وجزء من الدولة الاسلامية ، واعتمادهم على الرواية الشفهية كثيرا فى نقل علومهم ومعارفهم ، وعلى الذاكرة فى اختزان العلوم وحفظها .

٢ ــ نهى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الكتابة والتدوين لشىء غير القرآن الكريم ، خوفا من اختلاطه بآثار العرب فى أفهام الناشئة وغير العرب من الداخلين فى الاسلام . ولكن ما آن تقدم الزمن واتسعت دائرة الكتابة ومات كثير من حفظة الأدب والعلم وخيف من ضياع ما بقى من معارفهم بموت الحفاظ والرواة ، بالاضافة الى تفرق كثير منهم فى البلاد والأمصار الاسلامية ، وحدوث الفتن واختلاف الآراء . كل ذلك وغيره قد دعى الى ضرورة التدوين وجمع شتات العلوم والمعارف فى كتب مدونة . وكان ذلك ابتداء من منتصف القرن الثانى الهجرى .

يقول جرجس زيدان : « فلما انتشر الاسلام ، واتسعت الأمصار وتفرقت الصحابة فى الأمصار ، وحدثت الفتن واختلفت الآراء وكثرت الفتاوى والرجوع الى الكبراء ، اضطروا الى تدوين الحديث والفقه

وعلوم القرآن ، واشتغلوا فى النظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والأصـــول وترتيب الأبواب والفصـــول ، فرأوا ذلك مستحبا ، فعمدوا الى التدوين ورجعوا الى حديث رواه أنس بن مالك وهو قوله : « قيدوا العلم بالكتابة » ، وقوله : « العلم صيد والكتابة قيـــده »(١) .

الا أن عملية التدوين كانت مصـــحوبة بعصبية جاهلية ، مردهـــا النظر فى آثار القبائل وتدوين نتاجها والتباهى بمفاخرها وسؤددها . ولذلك تأججت نيران العصبية فى آونة التدوين . كل قبيلة تدون آثار علمائها وأدبائها من غير تحفظ ولا روية . وربما يجد المدونون شـــعرا ونثرا مجهول النسب هـــو فى خصائصه وســـماته الفنية أقـــرب الى خصائص شعر قبائلها ونثرها ، فيضيفونه الى سجل قبائلهم ، وربمـــا دونه غيرهم على أنه لهم . ولذلك وجد شعر ونثر منسوب الى أكثر من شاعر وأكثر من قبيلة . ومرد ذلك الى التحيز والعصبية التى أماتـــا الاسلام وأحياها بنو أمية ، فقد دأب الأمويون على احياء العصـــبيات القديمة الهاء للناس عن التفكير فى الحكم والسياسة وعن أحق الناس بالخـــلافة .

ولعل فكرة انتحال الشعر والأدب نشـــأت من ذلك التحـــيز وتلك العصبية فى التنافس على نسبة الشعر الجاهلى لأكثر من شاعر وأكثـــر من قبيلـــة .

ولذلك نشأت الحاجة من جديد الى الاهتمام بالأحساب والأنساب وتتبع الأصول والفروع وجمع ما قيل من الشعر فى اعلاء شأن بعض القبائل والزراية بغيرها ، وهذا كان له دوره وأهميته فى التدوين . وكان

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى جـ ٣ مجلد ٢ ص ٥٦ ، ٥٧ .

من أشهر من اهتموا بالأحساب والأنساب دغفل وصحار العبدى النسابيان •

وساعد على هذا الجمع والتدوين أيضا : ما حدث من خلاف شديد بين على ومعاوية حول خلافة المسلمين وقيادتهم • وانقسم الناس على أثر هذا الخلاف الى شيع وأحزاب ، كل حزب يتحدث عن أفضليته ، مستمدا ذلك من انجازات حاضرة وأمجاد ماضية ، ودفعهم ذلك الى ما قيل فى أصولهم القديمة من الشعر الذى يستعرض فيه الشعراء فخار آبائهم وتاريخ أنسابهم وأمجاد أصولهم • كل ذلك يعد مؤهلات تجعل له الأحقية فى الحكم والقيادة دون سواه • وجند بعض الناس أنفسهم أثناء التدوين العام لجمع ما ذكر فى الأحساب والأنساب بدافع الولاء لبعض الأحزاب والنيل من غيرها •

وثمة دافع قوى من دوافع التدوين وهو الانفتاح العربى على بلدان العجم حيث الفتوحات الاسلامية الكثيرة والمتلاحقة ، وما نتج عنها من دخول غير العرب فى الاسلام وانكبابهم على التراث العربى والاسلامى حفظا وفهما ودراسة • وهذا لا يكون من المحفوظ فقط،ولكن أيضا من المكتوب • وبالطبع ملغات البلاد المفتوحة ليست العربية،وهم حين يدخلون فى الاسلام يتكلمون العربية ، وربما يحدث اللحن والتصحيف والتحريف فيما يقرءون ويروون ، وهذا له آثاره الضارة على التراث العربى والاسلامى اذا لم يكن مكتوبا ومسجلا حتى يرجع اليه عند القراءة والمطالعة ، وعند تصحيح المحرف ، وبخاصة أن اللغة فى أول أمرها لم تكن منقوطة ومضبوطة بالشكل فى الكتابة ، وهذا أدعى الى التحريف والتصحيف ، فكان لابد من الكتابة والتدوين بالحروف العربية المنقوطة والمضبوطة •

ولما كان الخلفاء والأمراء عربا خلصا يفهمون اللغة العربية ويتذوقونها ، ويعرفون مضايق الشعر ومخارجه ، وصلاتهم وثيقة

بأصولهم القديمة وقبائلهم العريقة ، فكانوا يحبون الشعر ويقدونه ويقومونه ويثيبون عليه،وفي كثير من الأحايين كانوا يطلبون من الشعراء الموالين لهم انشاد بعض القصائد والمقطوعات القديمة ، ويحسون فى معانيها بما يوافق أذواقهم وأهواءهم فيبتهجون ويسرون لسماعها ، ويثيبون الشعراء الذين أنشدوها بين أيديهم • وهذا الأمر كان معروفا فى العصور الأدبية القديمة عند الخلفاء والشعراء وبخاصة فى العصرين الأموى والعباسى • ولذلك كان الشعراء والنقاد يهتمون بجمع الشعر وتدوينه لاستذكاره وانشاده كلما تطلب الأمر • بل شغل كثير من الناس أنفسهم بهذا الجمع والتدوين طمعا فى الغنى والصيت •

وهناك قضية العلم والاشتغال به سواء فى ذلك تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوى الشريف ، وأيضا فى قضايا النحو واللغة والاشتقاق اللفظى بأبيات من الشعر الجاهلى والاسلامى•ولذلك كان الشعر يدون بطريق غير مباشر خلال كتب اللغة والأدب وسائر العلوم •

وهناك الأذواق الشخصية فى النصوص المختارة للتدوين لدى العلماء السابقين الذين احتكموا الى أذواقهم فى ذلك ، مراعين المستوى الفنى فى اختيارهم وتدوينهم ، علما بأن هذه الأذواق كانت مختلفه ، فمنها ما يميل الى القصائد الطوال ، ومنها ما يميل الى ما فيه حكمة أو فخر أو تفسير لغوى ••• أو ما الى ذلك • وهذا كله فى نيته من دواعى التدوين ودوافعه الهامة ، ويدلنا على تباين النفوس واختلاف بواعثها وحالاتها فى قراءة الأدب وحفظه واستذكاره من شخص لآخر ، وعند النفس الواحدة من وقت لآخر فى الحالات المختلفة ، فآنا يميل الشخص الى قراءة المديح وحفظه وآنا الى قراءة الغزل وثالثا الى قراءة الحكمة والتأمل فى معانيها ••• وهكذا • ومن أراد أمثلة واضحة على اختلاف الأذواق وتباينها فى اختيار النماذج المدونة فليرجع الى

المفضليات والأصمعيات ، وجمهرة أشعار العرب والحماسة • فكل منها مختلف فى المنهج والطريقة عن بقية المختارات الأخرى •

ولما كانت القصيدة من الشعر الجاهلى متعددة الأغراض والموضوعات ، فكان من حفظة الشعر والمهتمين به من يقف عند بعض الأغراض بالحفظ والرواية دون غيرها • وربما رويت النماذج الشعرية دون نسبتها الى أصحابها ، وربما اختلطت النماذج فى نسبتها مع غيرها الى غير أصحابها ، وبخاصة التى تتفق فى الوزن والقافية ، وهذا ما أدى الى ضرورة التدوين والتحرى من صحة نسبة النصوص الى أصحابها ، ولم شتاتها وجمع متفرقها ، ولذلك كانت مهمة المدونين شاقة وعسيرة ، وهى فى الوقت ذاته هامة • وربما أهمل بعض المدونين فى تدوين النصوص المجهولة النسب فضاع أكثرها نتيجة لذلك •

وأكثر ما يختلط الأمر فى التدوين على المدونين حينما يحتاجون الى الرجوع الى حفظة النصوص لتوثيق ما بين أيديهم من نصوص مدونة ، أو لتدوين ما لم يكن مدونا ، والذواكر غالبا ما تخون وبخاصة أن المولعين من الرواة بحفظ الشعر وروايته كانت تتعدد القصائد والمقطوعات فى أذهانهم حتى تبلغ الآلاف • وربما غاب عن ذواكرهم القائلون فنسبوا النصوص لغير أصحابها ، أو جمعوا بين نصوص تتحد فى الوزن والقافية فى نسبتها الى شاعر ليست جميعها له • وأدى طول الفترة الزمنية بين عصر الابداع الأدبى وبين عصر التدوين الى كثير من هذا الاختلاط فى نسبة النصوص الأدبية الى أصحابها ، وهذا ما فطن اليه بعض الشعراء بعد عصر التدوين ، اذ أنه يروى أن ذا الرمة قال لموسى بن عمرو : « أكتب شعرى ، فالكتاب أعجب الى من الحفظ ، لأن الأعرابى ينسى الكلمة التى قد تعب فى طلبها ليلة ،

فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها ، ثم ينشدها الناس ، والكتاب لايغير ولا يبدل كلاما بكلام »(٢) •

أى أن الراوى كان ينسى الكلمة من البيت فيضع كلمة بدلا منها ، ولا يجد الرواة غضاضة فى ذلك ، وربما لا تؤدى المعنى الذى وضعت له مثلما كانت الكلمة المحذوفة أو الضائعة والتى تعب الشاعر فى طلبها ليلة كما يقـول ذو الرمة •

وربما غير الرواة كلمة بكلمة أخرى أليق أو أصح منها فى المعنى ، وقد روى عن امرىء القيس بيته :

فاليوم أشرب غير مستحقب   اثما من الله ولا واغل

فقالوا : حذف الاعراب وليس بالحسن ، وذهبـوا الى أنه يريد (أشربُ) فحذف الضمة ، ولذلك غـيروه ، فجعله بعضهم (فاليـوم فاشرب) بصيغة الأمر • وزعم قـوم أن الرواية الصحيحة « اليـوم أسقى » وبذلك كان المبرد يقول(٣) •

وفى قول عدى بن زيد :

ففاجأها وقد جمعت جموعا   على أبواب حصن مصـلتينا

فقددت الأديم لراهشـيه   وألفى قولها كذبا ومينـــا

فقالوا : ان فى قوله « مينا » سناد ، ولذلك أراد المفضل الضبى أن يفر من هذا السناد فغيرها وجعلها « كذبا مبينا »(٤) •

ومن ذلك أيضا ما تحدث به أبو حاتم السجستانى عن الأصـمعى

(٢) العمدة لابن رشـيق ٢/٢٠٥ تحقيـق : محمـد محيى الدين عبد الحميد ــ المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٥ م •

(٣) الموشـح للمرزبانى ص : ٨٥ تحقيق : على البيجاوى ــ المطبعـة السلفية ١٩٢٩ م •

(٤) العمدة ٢/٢٧٤ •

اذ يقول : « قرأ الأصمعى على أبى عمرو بن العلاء شعر الحطيئة فقرأ قوله :

وغررتنى وزعمت أنـــــك لابن بالضيف تامر

أى كثير اللبن والتمر ، فقرأها : « لا تنى بالضيف تامر » أى لا تتوانى عن ضيفك تأمر بتعجيل القرى له . فقال له أبو عمرو : أنت والله فى تصحيفك هذا أشعر من الحطيئة »(٥) .

أى أن الرواة كانوا أحيانا يغيرون فى بعض ألفاظ الشعر فى الراوية وفى التدوين ، اما لصحة اللغة وتصويبها ، واما لتحاشى عيب فى القافية ، واما لأن المعنى فى الكلمة الجديدة أليق فى مكانه من الكلمة الأولى التى قام الراوى أو المدون بحذفها وابدالها بغيرها ، ولا يجدون غضاضة فى ذلك .

ولعل أبا تمام كان يغير فى بعض كلمات حماسته من هذا المنطلق ، وهذا ما أشار اليه المرزوقى فى مقدمته لشرح ديوان الحماسة حيث يقول عن أبى تمام « حتى انك تراه ينتهى الى البيت الجيد فيه لفظة تشينه فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها فى نقده(٦) .

وهذا ما يدفع الى التدوين ويجعل له أهمية كبرى ، اذ أن الرواة السابقين كانوا أصحاب سلائق نقية سليمة ، وهم نقاد بطبعهم يضعون الكلمة فى موضعها الصحيح ، ولكن فيما بعد فسدت الأذواق وضعفت السلائق ، وأصبح النقد مكتسبا أكثر منه فطرة ، ولذلك لا يوثق من وضعهم الكلمات فى مواضعها الصحيحة فيترتب على ذلك فساد المعنى والتركيب .

وهناك أمر له أهميته القصوى فى نظر المدونين فى عصر التدوين

---

(٥) المزهر للسيوطى ٢/٣٥٥ دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .
(٦) مقدمة المرزوقى لشرح الحماسة ص ١٣ .

العام ، وهو أن القصيدة من الشعر حين أرادوا تدوينها كانوا أحيانا يجدونها كاملة فى بعض الروايات ، وفى البعض الآخر يجدونها ناقصة أبياتا عن الرواية الأولى ، وأحيانا زائدة عنها ، وأحيانا يتقدم فيها بعض الأبيات على البعض الآخر ... وهكذا .

مما جعل الوقوف على صحة القصيدة . بتمامها وترتيبها الصحيح أمرا شاقا ، ومهما فى الوقت نفسه ، وهذا كله كان سببه الامية والاعتماد على الذاكرة ، والذاكرة غالبا تخون . فالشاعر نفسه حين يعيد على مسامعه قصيدته قد يجد فيها بيتا يستحق أن يحذف أو بيتا يستحق أن يضاف ، أو كلمة تحتاج الى تغيير ، والراوى قد يروى القصيدة بترتيبها الذى سمعه من الشاعر ، ثم تأتى عليه فترة ينسى فيها بعض الأبيات أو الترتيب ، أو بعض الكلمات ، فيبدلها بغيرها ... وهكذا .

ولما كان الشعر أحيانا مجهول النسب ، فكانوا فى أحيان كثيرة يخلطون فى نسبته الى أصحابه ، وأحيانا ينسبون الى بعض الشخصيات الظاهرة من الشعراء ما هو قريب من شعرهم وموضوعاتهم ، وهذا ما ذكره الجاحظ حيث يقول : « ما ترك الناس شعرا مجهول القائل قيل فى ليلى الا نسبوه الى المجنون ، ولا شعرا هذا سبيله قيل فى لبنى الا نسبوه الى قيس بن ذريح ، كما أنهم نسبوا الى عنترة العبسى كل شعر حوى اسم عبلة(٧) .

الى غير ذلك من دوافع التدوين وظواهره . وقد ساعد عليه شيوع الكتابة وانتشارها وسهولة أدواتها ، بعد أن كانت نادرة وأدواتها صعبة غير ميسرة . وكان التدوين : « اما املاء من الأستاذ على التلميذ أو الكتبة ، كما حدث من ابن الأعرابى الذى قيل عنه : انه أملى

---

(٦) [illegible]

(٧) الأغانى ٢/٨ دار الكتب المصرية بالقاهرة [illegible]

ما يحمل على أجمال ، واما كتابة بخط التلميذ بعد السماع من الاستاذ أو النقل من الكتب ، كما قال ابن السكيت عن نفسه ، أنه كان يأخذ من أبى عمرو الشيبانى ويكتب من كتبه ، واما كتابة بخط الأستاذ نفسه كما كان من أبى عمرو الشيبانى(٨) .

وبعد أن انتهت مرحلة التدوين الأولى ، وهى جمع شتات الشعر والنثر وسائر العلوم والمعارف فى كتب . بدأت مرحلة جديدة ترتبت على الأولى ، وهى مرحلة التصنيف والتأليف والشرح واستنباط الأحكام والنظرة التأملية الدقيقة فى المجموع من العلوم والمعارف لاستخراج علوم ومعارف أخرى منها . وفى ذلك يقول عمر الدقاق : « ويوسعنا أن نتبين خلال هذه الحركة العلمية الدائبة مرحلتين متعاقبتين كانت الأولى منهما أساسا للثانية،وهما مرحلة التدوين التى تقوم على الجمع والتقصى والتسجيل والرصد . ثم مرحلة التصنيف والتأليف التى تناولت المواد المجموعة بالتنظيم والتنسيق والتبويب ، وبالتالى التحليل والاستنباط والمقارنة والابتكار . فكان الفقه والتشريع نتيجة لتدوين الحديث ، والمعاجم نتيجة لتدوين اللغة ، والنقد الأدبى نتيجة لجمع منظوم العرب ومنثورهم »(٩) .

وهكذا كان التدوين منذ نشأته عند العرب فى الجاهلية . وهكذا كانت مراحل حياته ونهضته الى أن كان التدوين العام ، وما ترتب عليه من دراسات واستنباطات ومقارنات تفرعت على آثارها علوم ومعارف جديدة من صلب العلوم المدونة ومعنى هذا أن المدارك تتسع باستمرار ويتسع معها حجم الثقافة والفكر . ومعنى هذا أيضا أنه لولا التدوين وتقييد العلوم وجمعها فى كتب حتى يرجع اليها من آن لآخر لماتت الثقافة ولقبر الفكر فى لحده منذ زمن بعيد .

---

(٨) تاريخ الأدب الجاهلى ٢١٤/١ د. على الجندى .

(٩) مصادر التراث العربى ص ١٧ مكتبة دار الشروق ـ بيروت .

خاتمـــة

وبعد : فهذه الدراسة التى قمنا بها حول تدوين الأدب وغيره من سائر العلوم خلال العصر الجاهلى وفى القرنين الأول والثانى الهجرين عرفنا من خلالها أن الكتابة كانت معروفة لدى بعض الناس فى الجاهلية وأنها كانت وسيلة تدوينهم لأدبهم وبعض معارفهم كما شهد بذلك غير واحد من الباحثين ، والأدلة على ذلك موجودة ومذكور بعضها فى ثنايا هذا البحث • ولما كانت الكتابة بدائية ووسائلها كذلك،ولم يكن يعرفها الا القليل بالنسبة لمجموع الناس فى عهدهم فقد صدق عليهم الحكم بأنهم أمة أمية • وأن القليل من الكتابة والتدوين لا يلغى التعميم عليهم بذلك،ولكن حين جاء الاسلام حض على العلم والازدياد منه فانه وسيلة الحياة وأساسها ولا تقوم الحياةبدون العلم بكل فنونه وفروعه • ولما كانت الكتابة والقراءة هما أداتا العلم فقد حث عليهما القرآن الكريم والحديث الشريف فى أكثر من موضع • واستخدمته الكتابة فى نشر الدعوة الاسلامية شأنها شأن الخطابة تماما،ثم اتسعت الحاجة اليها فى عصر صدر الاسلام ، حيث دون القرآن الكريم وبعض الحديث الشريف ، وحيث دونت كتب النبى — صلى الله عليه وسلم — وكتب خلفائه الراشدين •

وحين كان العصر الأموى واتسعت أرجاء الدولة الاسلاميه ووجدت الأمصار المختلفة زادت الحاجة الى الكتابة والتدوين أكثر وأكثر ، ووجدت الحاجة الى تدوين العلوم والمعارف المختلفة ، فاشتغل الأدباء والنقاد والعلماء على اختلاف اتجاهاتهم العلمية بالكتابة والتدوين لسائر العلوم والفنون المعروفة آنذاك ، فدونوا التفسير والحديث والتاريخ والمغازى والنحو والشعر والأدب ••• وغير ذلك من العلوم المختلفة •

ولكن فى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث الهجرى • وجدت الحاجة الماسة والدواعى الملحة للتدوين العام لسائر العلوم والفنون ، فاشتغلوا بذلك واهتموا اهتماما كبيرا بجمع شتات العلوم وتدوينها في كتب سواء من المكتوب قبل ذلك أو من المروى شفهيا • حفظا للنتاج العلمى والأدبى من الضياع بفقد ما كتب مسبقا أو بموت الرواة ، أو بضعف الذاكرة • وكل ذلك كان واردا فى آونة التدوين ولذلك كانت هذه الأمور من حوافز التدوين الهامة فى هذا الوقت •

نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا لاختيار موضوع هذا البحث ولمعالجة جوانبه • أنه نعم النصير وبالاجابة جدير • وهو خير مأمول وأكرم مسئول •

مراجـــع البحث

١ ــ الانقان فى علوم القرآن ــ جلال الدين السيوطى ــ الجـــزء الأول ــ عالم الكتب بـــيروت •

٢ ــ أدب الخلفاء الراشدين ــ جابر قميحة ــ دار الكتاب المصرى •

٣ ــ أشهر مشاهير الاسلام فى الحرب والسياسه ــ الجزء الرابع ــ رفيق العظم ــ دار الحياة بيروت •

٤ ــ الأصمعيات ــ الأصمعى ــ دار المعرف المصرية ١٩٦٤م •

٥ ــ اعجاز القـــرآن للباقلانى ــ طبعـــة أولى ــ مصطفى البـــابى الحـــلبى ١٩٧٨م •

٦ ــ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ــ الجزء السادس ــ طبعـــة دار الكتب المصرية •

٧ ــ الامامة والسياسة لابن قتيبة ــ الجزء الأول ــ القاهرة ١٩٦٣م

٨ ــ البيان والتبيين للجاحظ ــ الجزء الثانى ــ تحقيق عبد السلام هارون ــ القاهرة ١٩٤٨م •

٩ ــ تاريخ الأدب العربى ــ ترجمة ابراهيم الكيـــلانى ــ الجـــزء الأول طبعة دمشق ١٩٧٢م •

١٠ ــ تاريخ الأدب الجاهلى ــ د/ على الجنـــدى ــ مكتبة الجـــامعة العربية ــ بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٩م •

١١ ــ تاريخ الأمم والملوك ــ الطبرى ــ الجزء الثالث ــ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ــ دار المعارف بالقاهرة •

١٢ – تقييد العلم للخطيب البغدادى – تحقيق يوسف العش – دمشق ١٩٤٩م .

١٣ – جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والاسلام لأبى زيد القرشى القاهرة ١٩٨١م .

١٤ – جمهرة رسائل العرب – أحمد زكى صفوت – الطبعة الثانية – مصطفى الحلبى ١٩٣٧م .

١٥ – حماسة أبى تمام – تحقيق د/ عبد الله عبد الرحيم عسيلان – طباعة ونشر ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الاسلامية .

١٦ – حياة محمد – د/ محمد حسين هيكل . الطبعة السادسة عشر – دار المعارف بالقاهرة .

١٧ – الخراج لأبى يوسف يعقوب بن ابراهيم – دار الاعتصام – القاهرة ١٩٨١م .

١٨ – خزانة الأدب للبغدادى – الجزء الثانى – القاهرة ١٩٣٠م .

١٩ – الخصائص لابن جنى – الجزء الأول – طبعة الهلال ١٩١٣م .

٢٠ – خطط المقريزى – الجزء الأول – طبعة دار التحرير للطباعة والنشر .

٢١ – دراسة فى مصادر الأدب – د/ الطاهر مكى – دار المعارف الطبعة السادسة ١٩٨٦م .

٢٢ – دراسات فى الأدب العربى فى أزهى عصوره – القسم الأول – د/ محمد عبد المنعم خفاجى – مطبعة المدنى بالقاهرة .

٢٣ ــ دراسات فى الأدب العربى فى العصر الأموى ــ د/ السيد عبد القادر عويضة ، مطبعة الشروق الجامعية .

٢٤ ــ دراسات فى المكتبة العربية ــ محمد أحمد خلف الله ــ القاهرة ١٩٥٨م .

٢٥ ــ سيرة ابن هشام ــ الجزء الأول ــ الطبعة الثانية ــ مصطفى البابى الحلبى .

٢٦ ــ سيرة عمر بن الخطاب ــ ابن الجوزى ــ المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٣١هـ .

٢٧ ــ شرح الحماسة للمرزوقى ــ المقدمة ــ نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون ١٩٥١م .

٢٨ ــ الشعر والشعراء لابن قتيبة ــ الجزء الأول ــ تحقيق : أحمد محمد شاكر ــ الطبعة الثالثة ١٩٧٧م .

٢٩ ــ الشهاب الراصد ــ محمد لطفى جمعة ــ القاهرة ١٩٢٦م .

٣٠ ــ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى ــ طبعة ليدن ١٩١٦م .

٣١ ــ الطبقات الكبرى لابن سعد ــ دار صادر بيروت ١٩٥٧م .

٣٢ ــ العصر الاسلامى ــ د/ شوقى ضيف ــ دار المعارف ــ الطبعة السابعة ١٩٧٦م .

٣٣ ــ العقد الفريد لابن عبد ربه ــ الجزء السادس ــ مطبعة الاستقامة ١٩٤٠م .

٣٤ ــ العمدة لابن رشيق ــ الجزء الثانى ــ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ــ المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٥م.

٣٥ ــ فتوح البلدان للبلاذرى ــ طبعة أوربا .

٣٦ — فتوح الشام للواقدى — الجزء الأول — دار صادر — بيروت .

٣٧ — فجر الاسلام — أحمد أمين — مكتبة النهضة بالقاهرة .

٣٨ — الفن ومذاهبه فى النثر العربى — د/ شوقى ضيف — دار المعارف — ط ٩ .

٣٩ — الفهرست لابن النديم — المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٤٨هـ .

٤٠ — الكامل فى اللغة والأدب للمبرد — الجزء الأول — القاهرة ١٩٣٦م

٤١ — المزهر للسيوطى — الجزء الأول — دار احياء الكتب العربيه .

٤٢ — مسند الامام أحمد بن حنبل — دار صادر — بيروت .

٤٣ — المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى — د/ عز الدين اسماعيل — الطبعة الثالثة — دار المعارف المصرية .

٤٤ — مصادر التراث العربى — د/ عمر الدقاق — مكتبة دار الشروق — بيروت .

٤٥ — مصادر الشعر الجاهلى — د/ ناصر الدين الأسد — الطبعة السادسة — دار المعارف .

٤٦ — معجم الأدباء — ياقوت الحموى — نشر الرفاعى .

٤٧ — مغازى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عروة بن الزبير — تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمى — نشر مكتبة التربية العربى لدول الخليج — الرياض ١٩٨١م .

٤٨ — المفضليات — المفضل الضبى — طبعة دار المعارف ١٩٦٣م .

٤٩ — مقدمة ابن خلدون — طبعة دار الشعب .

٥٠ ـ مقدمة التبريزى لشرح ديون الحماسة ـ التأليف والترجمة والنشر .

٥١ ـ مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهانى ـ شرح وتحقيق السيد أحمد صقر ـ مطبعة عيسى الحلبى ـ القاهرة ١٩٤٩م .

٥٢ ـ الموشح للمرزبانى ـ تحقيق على البيجاوى ـ المطبعه السلفية ١٩٢٩م .

٥٣ ـ نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى د/ حسين نصار ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م .

٥٤ ـ نهج البلاغة ـ للامام على بن أبى طالب ـ الجزء الثالث ـ شرح الشيخ محمد عبده ـ بيروت .

٥٥ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ـ الجزء السادس ـ دار الكتب بالقاهرة .

٥٦ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ـ الجزء الثانى ـ تحقيق احسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .

الفهـــــرس

مقـــدمة ٣

الفصـــل الأول

الكتابة والتدوين فى العصر الجاهلى ٦

ـ أدلة التدوين فى العصر الجاهلى ١٤

الفصـــل الثانى

الكتابة والتدوين فى عصر صدر الاسلام ٢١

ـ تدوين القـــرآن ٢٣

ـ تدوين الحديث الشريف ٢٧

ـ الكتب والعهـــود ٢٩

الفصـــل الثالث

الكتابة والتدوين فى العصر الاموى ٤٠

ـ التفســـير ٤١

ـ المغازى والســير ٤٤

ـ الحـــديث ٤٥

ـ النحـــو ٤٦

ـ الشعر والأدب ٤٦

ـ الفقه الاســـلامى ٤٦

ـ أصول الدين ٤٧

الفصـــل الرابع

دواعى التدوين العام ومنهجه ٤٨

خاتمـــة ٥٧

مراجـــع البحث ٥٩

الفهـــرس ٦٤

رقم لايداع بدار الكتب ١٠٠٧٠ لسنة ١٩٩١